عبد الله بن حذافة رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: يا ترى مَنْ هذا الرجل الكريم الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم ويُقبل رأسه، بل ويحث الصحابة على تقبيل رأسه؟!.

إنه الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة رضي الله عنه وهو موضوع حديثنا اليوم بإذن الله. هو أحد السابقين،هاجر إلى الحبشة، ونفذه النبي ﷺ رسولًا إلى كسرى.

الذي خرج إلى الشام مجاهـدًا ، فأُسر على قيسارية ، وحملوه إلى طاغيتهم ، فراودوه عن دينه، فلم يفتن[1] وأجمع كتاب الطبقات والسيرة والتاريخ وغيرهم أن عبد الله

---

(١) السير للإمام الذهبي (٢/ ١١ - ١٢).

ابن حذافة السهمي قد صحب رسول الله ﷺ ، وأسلم قديمًا، ولما اشتدت أذية الكفرة للمؤمنين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، حيث كان رسول الله ﷺ قد أشار على أصحابه بقوله: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه».

وتدل أخبار عبد الله بن حذافة السَّهمي على أنه عاد إلى مكة، ومن هنا هاجر ثانية إلى المدينة المنورة، لينطلق منها إلى دنيا الجهاد والفروسيّة، وليكون أحد فرسان مدرسة النبوة الأبرار، الأخيار، الأطهار[1] وقال ابن منده: شهد بدرًا.

وإن عبد الله بن حذافة رجل تتجسد فيه عزة المؤمن وصلابته وثباته بصورة لا تخطر على قلب بشر.. فهو رجل عقيدة في المقام الأول يحمل عقيدة لا تؤثر فيها الأعاصير ولا تزعزعها الفتن والبلايا فهو يعلم من أعماق قلبه أن كل عذاب دون النار عافية، وأن كل نعيم دون الجنة سراب.

ولقد كان النبي ﷺ يضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ لأنه ﷺ كان خبيرًا بقدرات ومواهبهم الرجال من حوله ومواهبهم .

فكان يُخَبِّيء لعبد الله بن حذافة مهمتين من أخطر المهام، ولذلك تراه ﷺ يحثه على شدة الإخلاص في كل شيء بدءًا من تلاوته لكتاب الله وانتهاء بالجهاد في سبيل الله.

عن أبي سلمة: أن عبد الله بن حذافة قام يصلي، فجهر، فقال النبي ﷺ: « يا ابن حذافة، لا تُسمعني وسمِّع الله »[2].

وكان رضي الله عنه خفيف الظل فتراه يعطي أصحابه الدروس العملية من خلال مواقف طريفة يعلمهم من خلالها أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - جل وعلا - فعن أبي سعيد قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، عليهم علقمة بن مجزز، وأنا فيهم،

(١) فرسان في عصر النبوة (ص ٣٨٥).
(٢) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٩٠) ورجاله ثقات.

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق ، استأذنه طائفة ، فأذن لهم ، وأمَّر عليهم عبد الله بن حذافة، وكان من أهل بدر، وكانت فيه دعابة، فبينا نحن في الطريق، فأوقد القوم نارًا يصطلون بها، ويصنعون عليها صنيعًا لهم، إذ قال: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟، قالوا: بلى. قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تواثبتم في هذه النار، فقام ناس، فتحجزوا، حتى إذا ظن أنهم واقعون فيها قال: أمسكوا [أي شدو أوساطهم فعل من تهيأ ... أي ليلقوا أنفسهم في النار] إنما كنت أضحك معكم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، ذكروا ذلك له. فقال: «من أمركم بمعصية فلا تُطيعوه»(١).

أما الحديث عن عبد الله بن حذافة رضي الله عنه وطاعته لرسول الله ﷺ والتضحية بالنفس فمنه أنه لما عزم النبي ﷺ على أن يبعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه برسالته إلى «كسرى» ملك الفرس، فقد كان يعلم «عبد الله» أنه ربما لا يعود مرة أخرى، ولكن لابد من الامتثال لأمر الله، ولأمر رسول الله ﷺ ولو كان الثمن هو التضحية بالنفس والوقت والمال والدنيا بأسرها. فعن عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: «أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون: يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبدًا فمرنا وابعثنا.

فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى ابن هرمز «ملك فارس» وكتب معه، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين. فإن تُسلم تسلم وإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك

(١) رواه أحمد (٢/ ٦٧)، وصححه ابن حبان (١٥٥٢) وقال الهيثمي في الزوائد (١٨٣) إسناده صحيح.

قال: فلما قرأه شقة - أي قطع رسالة النبي ﷺ - وقال: يكتب اليَّ بهذا وهو عبدي؟!
قال: ثم كتب كسرى إلى «باذان» وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين عندك جلدين فليأتياني به، فبعث «باذان» قهرمانة - وكان كاتبًا حاسبًا - بكتاب فارس، وبعث معه رجلًا من الفرس يقال له: «خرخرة»، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمر أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لأباذويه: إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلًا من قريش في أرض الطائف، فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا. وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك فارس كُفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أباذويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك «باذان» يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو مَنْ قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك. ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: «**ويلكما من أمركما بهذا؟**» قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ: «**ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي**» ثم قال: «**ارجعا حتى تأتياني غدًا**» قال: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله. قال: فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك «باذان»؟

قال: «**نعم أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر،وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء** » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على «باذان» فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبيًا كما يقول وليكونن ما قد قال، فلئن كان

هذا حقا فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأيا. فلم يلبث «باذان» أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد؛ فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى «باذان» قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن[1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

وظل عبد الله بن حذافة ملازمًا للحبيب ﷺ يقبس من هديه وعلمه وأخلاقه العذبة، وكانت محبته للحبي ﷺ تزداد يومًا بعد يوم حتى كان يتمنى أن يفديه بنفسه وماله وبكل ما يملك...فلما توفي الحبيب ﷺ أظلمت الدنيا كلها في عين « عبد الله ابن حذافة» وحزن لموته حزنًا كاد أن يمزق فؤاده.

وبعد وفاة النبي ﷺ ظل ابن حذافة ثابتًا على دينه ثبات الجبال متأسيًا بالحبيب ﷺ في كل شيء.

عباد الله: إن من أعظم عوامل الثبات على هذا الدين العظيم أن يعلم المؤمن أنه على الحق، وأنه على الصراط المستقيم.

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤/ ٢٦٨ - ٢٦٩) بتصرف.

كل ذلك يجعل المؤمن يستعذب العذاب في سبيل الله ويصبر ويتحمل الأذى والمشقة من أجل أن يظفر بنعمة الإسلام، وأن يموت على تلك النعمة.

إن البلاء سُنَّة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير يقول الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت ١:٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة١٥٥: ١٥٧].

وقال ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١).

إن الحياة لا تخلو من الشدائد، وإن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمار شهية لغراس العقيدة في نفس المؤمن،وذخائر لا تنفذ لإمداده في معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف، محفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال.. أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا.

جُبلت على كدر وأنت تريدها ∴ صفوًا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ∴ متطلب في الماء جذوة نار

---

(١) أخرجه مسلم عن صهيب، باب المؤمن أمره خير كله.

وإذا كان هذا سُنَّة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضًا لنكبات الدنيا وويلاتها، إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم دعاة الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر. وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن.

سنة الله الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا وأبا جهل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

هذا شأن الأنبياء. وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[البروج : ٨].

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعًا، وأسرعهم انهيارًا أمام شدائد الحياة هو الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان.

وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[هود:٩]. ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩]. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء:٨٣].

إنهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به، ولا بإله فيطمئنوا إلى حكمته في خلقه، ولا بأنبياء فيجدوا في حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى فتهب عليهم نسماتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل. إنهم كسفينة فقدت الدفة والشراع، وكل عوامل الثبات أمام الأمواج والعواصف، فهي لأدنى حركة من الريح بشتد اهتزازها وتمايلها، ويحيط بها الموج من كل مكان، وسرعان ما تغوص إلى الأعماق!

ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر ما يكون في البيئات التي ضعف دينها أو فقدته، فإن لم يكن الانتحار فهو الألم القاتل، والجزع الهالع، والكآبة الحزينة،والحزن الكئيب،

والحياة التي خلت من معنى الحياة[١].

ليس من مات فاستراح بميتٍ ∴ إنما الميتُ ميِّت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبًا ∴ كاسفًا باله قليل الرجاء

وها هو عبد الله بن حذافة يُسطر على جبين التاريخ صفحة مضيئة لا ينساها المؤمنون ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

فعن أبي رافع، قال: وجَّه عمر جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إل ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العجم وجميع مُلك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذًا أقتلك. قال: أنت وذاك. فأمر به، فصُلِب، وقال للرماة: ارموه قريبا من بدنه، وهو يعرض عليه،ويأبى فأنزله ودعا بقدر، فصب فيها ماء حتى احترقت ودعا بأسير من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى. ثم بكى. فقيل للملك: إنه بكى. فظن أنه قد جزع. فقال: رُدُّوه ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله - أي في سبيل الله - .

فقال له الطاغية: هل لك أن تُقَبِّلَ رأسي وأخلِّي عنك؟

فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم. فقبل رأسه. وقدم بالأسارى على عمر، فأبخره فأخبره.

فال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة،وأنا أبدأ. فقبل رأسه.[٢]

---

(١) الإيمان والحياة، د/ يوسف القرضاوي (ص ١٨٤ - ١٨٦)

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق البيهقي وكذا الحافظ في الإصابة، وله شاهد من حديث ابن عباس، موصولًا عند ابن عساكر، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٢١٢).

عباد الله: بعد أن أدى عبد الله بن حذافة رضي الله عنه واجبه في الجهاد ببلاد الشام، توجه إلى مصر، وشهد هنالك مع عمرو بن العاص فتح مصر، ولما فتح عمرو حصن الفسطاط - بابليون - وجه عبد الله بن حذافة إلى عين شمس، فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط.

ويحدثنا البلاذري - رحمه الله - أنه بعد فتح مدينة الإسكندرية استخلف عمرو بن العاص عليها عبد الله بن حذافة في جماعة من المسلمين وانصرف عمرو إلى الفسطاط، فكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل الذي كان ملك الروم حينذاك يخبرونه بقلة عدد المسلمين في الإسكندرية، فبعث ملك الروم أحد قادته على رأس قوة مشحونة في ثلاثمئة مَرْكَبْ ، فدخل الإسكندرية، ولكن المسلمين أعادوا فتح الإسكندرية مرة ثانية[1].

وظل عبد الله بن حذافة عابدًا قانتًا زاهدًا مجاهدًا في سبيل الله تعالى إلى أن نام على فراش الموت، وأسلم روحه لبارئها جل وعلا - ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه ش في جنات النعيم إخوانًا على سرر متقابلين. ومات ابن حذافة في خلافة عثمان رضي الله عنه[2].

فنسأل الله أن يرزقنا الثبات على هذا الدين، وأن يحشرنا في زمرة المتقين. ورضي الله عن عبد الله بن حذافة وعن سائر الصحابة أجمعين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود والنصارى وسائر المشركين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم وحِّد صفوف المسلمين واجمع كلتهم وأيدهم بنصرك يا سميع الدعاء. وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ص: ٢٦٠).
(٢) السير للإمام الذهبي (٢/ ١٥ - ١٦).

طليحة بن خويلد رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: إننا ونحن نفتح تلك الصفحة لنعيش مع ضيف جديد كريم، فإننا في الحقيقة نعيش قصة التوبة بكل معانيها. تلك القصة التي تتكرر مئات المرات في كل يوم، وفي كل زمان ومكان. وقصة هذا الضيف الكريم تحدو النفوس إلى التوبة.

فالله يحب التوابين، بل إنه - جل وعلا - يدعو الكون كله للتوبة.

قال ﷺ: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٧٦) التوبة.

وقال ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[(١)].

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[(٢)].

ولقد دعا الحق - جل جلاله - الناس جميعًا إلى التوبة الصادقة.

فلقد دعا المشركين إلى التوبة فقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

ودعا إليها أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

والذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤]. ودعا المنافقين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]. كما دعا إليها المؤمنين الصادقين. فأمر الله عز وجل أصحاب النبي ﷺ بالتوبة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد ... هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار ، وجلسوا يتلذذوا بمشاهدة المؤمنين وهو يموتون في النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠].

فقوله تعالى ثم لم يتوبوا يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٢٥).

(٢) رواه الترمذي وأحمد والحاكم. (٤/ ٢٥٧) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني.

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم٥٩: ٦٠].

وتوبة العبد إلى الله عز وجل محفوفة بتوبتين من الله عز وجل: توبة قبلها، وتوبة بعدها. الأولى: إذن وتوفيق، والثانية: قبول وإثابة. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

فأخبر الله عز وجل أن توبته عليهم سبقت توبتهم. وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم، وهذا القدر من سرِّ اسْمَيْه (الأول والآخر) فهو المُعِدُّ والمُمِدُّ، ومنه السبب والمسبب، والعبد توابٌ والرب تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الرب نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإثابة.

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله عز وجل، بسلوك صراطه المستقيم الذي أمر بسلوكه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ونهايتها الرجوع إليه في الميعاد وسلوك صراطه الذي نصبه موصلًا إلى جنته، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة، رجع إليه في المعاد بالثواب، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾ [الفرقان:٧١].

عباد الله: وبعد تلك المقدمة الطويلة - التي تعمدنا أن نطيل فيها الكلام لتكون حاديًا لنا جميعًا على التوبة - نعيش مع ضيفنا المبارك طليحة بن خويلد ﷺ إنه البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ، ومن يُضرب بشجاعته المثل، من بني أسد، إحدى القبائل التي تسكن ما بين نجد إلى الفرات.

وفي العام التاسع للهجرة جاء وفد أسد إلى المدينة ومعهم «طليحة بن خويلد»

ليعلنوا إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ.

أسلم طليحة ثم ارتد وظلم نفسه، وتنبأ بنجد - ادعى النبوة - وتمت له حروب مع المسلمين، ثم انهزم، وخذل ولحق بآل جفنة الغسانيين بالشام[1].

قال الحافظ ابن كثير عن طليحة رضي الله عنه : كان ممن شهد الخندق، من ناحية المشركين، ثم أسلم سنة تسع، ووفد على رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ في أيام الصديق، وادعى النبوة.. وروى ابن عساكر أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ وأن ابنه خيال قدم على رسول الله ﷺ فسأله: ما اسم الذي يأتي إلى أبيك؟ فقال: ذو النون الذي لا يكذب ولا يخون، ولا يكون كما يكون. فقال: لقد سمى ملكًا عظيم الشأن، ثم قال لابنه: قتلك الله وحرمك الشهادة.

ورده كما جاء فَقُتِلَ خيَّال في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن محصن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع[2].

فلما ازدادت شوكته وازداد خطره على المسلمين عقد أبوبكر رضي الله عنه ألوية الحرب، وأرسل إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه.

عباد الله: التقى خالد مع طليحة الأسدي في بزاخة فتقاتل الطرفان قتالًا شديدًا، ولما رأى طليحة أن كفة المسلمين رجحت على كفَّة أتباعه، ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها، وقال: يا معشر فزارة، من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته، فليفعل. وبذلك قضى خالد على فتنة طليحة وأعاد الإسلام إلى بزاخة. ولقد حطم انتصار خالد معنويات أسد وغطفان والقبائل الأخرى كبني عامر وسليم وهوازن، فبايعوه وعادوا إلى الإسلام، ولم يقبل منهم إلا أن يأتوه أولًا بالذين حرقوا ومثَّلوا وعدوا على الإسلام، فأتوا بهم، فمثل بهم وحرَّقهم، ورضخهم بالحجارة، ورمى

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣١٧).
(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١٢١).

بهم من الجبال، ونكَّسهم في الآبار[١]. فلما انهزم طليحة أمام خالد وتفرَّق جنده هرب حتى دخل الشام، فنزل على آل جفنة الغسانيين.

ثم أسلم بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه، وذهب إلى مكة معتمرا أيام الصديق، واستحيى أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع، فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد، أن استشره في الحرب ولا تؤمِّره - يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن - وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه. وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصُّرَّد والصوَّام، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام[٢].

ولما جاء يسلم على عمر فقال له: أغرُب عني فإنك قاتل الرجلين الصالحين، عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم، فقال: يا أمير المؤمنين، هما رجلان أكرمهما الله على يديَّ ولم يهني بأيديهما. فأعجب عمر كلامه ورضي عنه. وكتب له بالوصاية إلى الأمراء أن يشاور ولا يولي شيئا من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهدًا فشهد «اليرموك» وبعض الحروب كالقادسية ونهاوند الفرس، كان من الشجعان المذكورين، والأبطال المشهورين، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله. وذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال: كان يُعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب[٣].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ١٣٣).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٢١).

الحمد لله ولي الصالحين. ولا عدوان إلَّا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ولقد شهد طليحة رضي الله عنه القادسية ونهاوند، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: أن شاور طليحة في أمر الحرب ولا تُوَلِّه شيئًا.

قال محمد بن سعد: كان طليحة يُعد بألف فارس لشجاعته وشدَّته.

أبلى يوم نهاوند ثم استشهد رضي الله عنه[1] في يوم أرماث أول أيام معركة القادسية ألق فارس بثقلها على بجيلة أقوى جانب في مصاف المسلمين، وكان قوام الهجوم الفارسي اثنين وخمسين ألف مقاتل تساندهم تسعة أفيال، وألقى الفرس حسك الحديد تحت سنابل خيل بجيلة؛ لتتعطل عن الحركة،وقصفوهم بوابل من نشاباتهم، وأدرك سعد ما تعانيه بجيلة وكندة فأصدر أمره إلى أقوى وأشجع قبيلة تقع على ميمنة بجيلة، وهي قبيلة بني أسد: ذبُّوا عن بجيلة ومن لافَّها من الناس. فاستجابت أسد لأمر سعد، وقام فيها فارسها المعلم - الذي يُعد بألف فارس - طليحة خطيبًا، وقال: يا عشيرتاه، إن المنوّه باسمه الموثوق به، وأن هذا - يعني سعدًا - لو علم أن أحدًا أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم .. ابتدئوا الشدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة.. فإنما سمعتم أسدًا لتفعلوا فعلة الأسد، شدوا ولا تصدوا أي: لا تقفوا مدافعين، وكرُّوا ولا تفرُّوا، لله درُّ ربيعة! أي فري يفرون، وأي قرن يفنون! هل يوصل إلى مواقفهم؟ فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله، شدوا عليهم باسم الله،[2] قال المعرور بن سويد - وكان ممن شهد القادسية: شد بنو أسد على الفرس، والله فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم فأخرت، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارز، فما لبَّثه طليحة حتى قتله.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣١٦ - ٣١٧).

(٢) القادسية ومعارك العراق (ص٦١٨- ٦١٩) لمحمد أحمد باشميل، وتاريخ الطبري (٥٣٨، ٥٣٩).

وخرج الجالينوس فاعترضه طليحة وجهًا لوجه، وضربه ضربة على رأسه، ولكن مغفره كان سميكا فشقه السيف، ولم ينفذ إلى رأسه، فنجا من القتل.

وكان يوم أرماث هو يوم بني أسد بحقٍّ، لأنهم لم يبل في ذلك اليوم أحدٌ مثل بلائهم.. بقيادة طليحة بن خويلد فارسها الذي يعدل ألف فارس، وأظهروا بطولات كانت مثار إعجاب كل المسلمين.

وفي يوم (عماس) من أيام القادسية: غامر طليحة - وكان مقدامًا لا يهاب الموت، ويعدل ألف فارس - وعبر بمفرده نحو الفرس فجاءهم من وراء العتيق، حيث الجسر المردوم، حتى صار خلف صفوفهم، ومن هناك كبر ثلاث تكبيرات ارتاع لها الفرس، فظنوا أن جيش الإسلام جاءهم من ورائهم.وتعجب المسلمون وكف بعضهم عن بعض..

فلله در رجل يُرعب تكبيره الفُرس.. يخاطب طليحةُ الفرس بعدهم قائلا: لا تعدموا امرأ يضعضعكم.. وانظر بربك - ما فعل هذا المغوار الذي يعدل جيشا بأسرِهِ قبل معركة القادسية.

بعث سعد طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب الزبيدي في غير قوة من خيل، كالطليعة في دورية استكشافية، فكان طليحة وحده مكلفا بعسكر رستم، وكان عمرو في خمسة من أصحابه مكلفا بعسكر جالينوس، وأمرهم أن يصيبوا له رجلًا منهم ليستخبره، فلما تجاوز طليحة وعمرو قنطرة القادسية لم يسيروا إلا فرسخًا وبعض فرسخ - حوالي سبعة كيلو مترات - حتى رأوا خيلًا عظيمة وقوات المجوس تتحرك بسلاحها قد ملئوا الطفوف..[1] قال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم وهو يرى أن القوم بالنجف، فأخبروه بالخبر. وقال بعضهم: ارجعوا، لا ينذر بكم عدوكم. فقال عمرو: صدقتم.وقال طليحة: كذبتم، ما بعثتم لتخبروا عن السرح، وما بعثتم إلا للخبر. قالوا: فما تريد؟ قال: أريد أن أخاطر القوم أو

(١) الطفوف: ما أشرف على الأرض على ريف العراق.

أهلك. فقالوا: أنت رجل في نفسك غدر، ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن، فارجع بنا، ثم فارقهم يريد معسكر رستم. في مغامرة خطيرة[1].

ومنذ فارق طليحة، وهو يعمل للدخول إلى قلب معسكر رستم بمفرده، مع العلم أن معسكر رستم يضم ثمانين ألف مقاتل، ومثلهم من الخدم والحرس الخاص، ولكنها شجاعة وجرأة بطل الأبطال طليحة، فقد مضى يعارض المياه المنبثقة من الأنهار حتى دخل عسكر رستم، دخله في ليلة مقمرة، وبات ليلة يتخبر، وكان يحب الخيل كعاشق للفروسية فرأى فرسا لم ير مثلها في خيل رستم، ورأى فسطاطًا أبيض لم ير مثله، فامتشق حسامه. فقطع به مقود ذلك الفرس، ثم ربطه إلى مقود فرسه، ثم مشى بفرسه وخرج يعدو به، وأحس الفرس بما حدث فتنادوا، وركبوا الصعبة والذلول، وتعجل بعضهم فلم يسرج فرسه، وخرجوا يجدون في أثره، ولحقه فارس منهم مع الصباح، فلما أدركه وصوب إليه رمحه ليطعنه عدل طليحة فرسه، ومال به عن تصويب الفارسي، فانصب الفارسي بين يديه وصار أمامه، فكر عليه طليحة وطعنه برمحه فقصم ظهره، وانطلق يعدو بفرسه، فلحق به أعجمي آخر، ففعل به مثل ما فعل بالأول وانطلق يعدو، فلحق به ثالث، وقد رأى مصرع صاحبيه، وهما ابنا عمه فازداد حنقًا، فلما لحق بطليحة وبوأ له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه فانصب المجوسي أمامه، وكر عليه طليحة وقد شرع رمحه ودعاه إلى الأسر، وأدرك المجوسي أنه مقتول فاستسلم، وكانا قد اقتربا من معسكر المسلمين، فأمره طليحة أن يركض بين يديه، وهو يسوقه من خلفه برمحه، وهو على فرسه فامتثل للأمر. وأقبل جمع آخر من العجم يجدون في آثارهما فرأوا فارسيهم وقد قتلا، وشاهدوا الثالث يركض مستسلمًا أمام طليحة، وقد أوشكا على دخول معسكر المسلمين فأحجموا ونكصوا، ثم عادوا من حيث أتوا. وجاء طليحة على فرسه يسحب وراءه الفرس التي غنم، وأسيره يعدو بين يديه، ودخل عسكر المسلمين ففزعوا منه، ثم أجازوه حين عرفوه، فدخل على سعد. قال له سعد ويحك ما وراءك؟ قال طليحة: دخلت

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥١٢ - ٥١٣).

عساكرهم وجُستُها منذ الليلة، وقد أخذت أفضلهم توسُّمًا، وما أدري: أصبت أم أخطأت، وها هو ذا فاستخبره.

وبعد حياة طويلة مليئة بالتوبة الصادقة والعمل لهذا الدين ومليئة بالبطولات النادرة في أرض الشرف والجهاد ظل البطل يبحث عن الشهادة في مظانها إلى أن رزقه الله الشهادة في سبيله.

قال الإمام الذهبي: قلت: أبلى يوم نهاوند - يعني طليحة - ثم استشهد - رضي الله عنه وسامحه -.

أقول: وهذا درس لا ننساه أبدًا، فالإنسان إذا أذنب فعليه أن يتوب ويرجع إلى ربه - عز وجل - ويستدرك ما فاته عسى الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين في وقت يَعِزُّ فيه النصير.

فرضي الله عن طليحة وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وكافة أعداء الدين، اللهم اهد ضال المسلمين، واشف مرضاهم، وعاف مبتلاهم، واكس عاريهم، وأطعم جائعهم، واسق عطشاهم، وتقبل شهداءهم ووحد صفوفهم، واجمع كلمتهم يا سميع الدعاء. اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه، ولا تجعل له تمكينا في الأرض، ومن يسر على المسلمين فيسر أمره وأصلح شأنه واهده لأقوم الطريق ومكنه في الأرض ، وقوموا إلى صلاتكم.

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه إنه زيد بن الخطاب ذلك السيد الشهيد المجاهد التقي، أبو عبد الرحمن القرشيُّ العدويُّ ، أخو أمير المؤمنين عمر، وأسلم قبله.

أسلم فارسنا منذ أن كان الإسلام غَضًّا طريا، وقبل أن يفوح بأريجه العطر فيعم الدنيا بأسرها. عرف الإسلام قلبه من قبل أن يسلم أخوه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أسنَّ من عمر، فهو من الطليعة التي تألقت في سماء الأولين، وما أدراك ما ثواب الأولين السابقين إلى الحق والهداية؟! .

وهذا الفارس التَّقي حباهُ الله عز وجل بسطة في الجسم فكان رجلًا طويلاً بائن الطول، أسمر اللون، ذا هيبة وجلال، تعلو وجهه الأسمر علائم الحزم والعزيمة، والإخلاص، بينما توضح في أعماقه علائم الصِّدق والوفاء[1].

ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة كان زيد في صحبة أخيه عمر بن الخطاب ﷺ وقد صحبه في تلك الهجرة بعض أهله وقومه كما صحبه بعض المستضعفين ليحتموا به وبأخيه.

ولما وصل إلى المدينة المنورة آخى النبي ﷺ بينه وبين معن بن عدي الأنصاري.

عباد الله: لما أذن الله عز وجل لعباده المؤمنين بالقتال: كان زيد من أوائل الفرسان الذين استجابوا لداعي الجهاد، وسارعوا إلى مرضاة الله عز وجل يبتغون منه مغفرة وأجرًا عظيمًا، مدفوعين بحب العقيدة وجميل التوكل على الله تعالى.

ولما كانت غزوة بدر، كان زيد بن الخطاب ﷺ من جنود المدرسة النبوية الذين خرجوا لتكون كلمة الله هي العُليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وانتهت المعركة بنصر المسلمين الموحدين، وكتب زيد بن الخطاب في قائمة السعداء، الذين وجبت لهم الجنة كما في الصحيح من الأحاديث.

وتدق غزوة أحد أبوابها، فيخرج زيد في معية رسول الله ﷺ وكان في طليعة الفرسان الذين نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار، فما عند الله خيرٌ وأبقى، وهل هناك وسام أعظم وأجل من وسام الشهادة؟!.

وهناك قرب سفح جبل أحد، وذلك الجبل الذي يحب رسول الله ﷺ ويحبه رسول الله ﷺ، وقف زيد ليعطي مثلًا شرودًا في فدائية التضحية، وكمال الشجاعة، وجمال الإيثار...، بل وقف ليحقق مرضات الله تعالى قولاً وعملًا، فقد تقدم منه أخوه عمر ﷺ وهمس في أذنه همسة دافئة فيها معاني الأخوَّة ، وقال له: يا زيد! خذ

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص:١٤٨).

درعي كي ما تقي بها جسمك من ألسنة الرماح، وأسنَّة البيض[١].

وفي همسة مشحونة برحيق الإيمان، قال زيدٌ وقد علت وجهة الأسمر ابتسامة لطيفة: يا عمر إني أريد من الشهادة ما تريد.

وتابع زيد رضي الله عنه حضور المشاهد، فشهد غزوة الخندق، كما شهد بيعة الرضوان، بالحديبية، وبايع رسول الله ﷺ يومها على الموت، وحظي بمرضات الله مع الذين بايعوا تحت الشجرة،وشهد بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله، وفي كل موقعة كان له مقام محمود، وبلاءٌ مبارك، وحظ وافر من الجرأة والإقدام[٢].

عباد الله: وبعد موت الحبيب ﷺ ارتد كثير من قبائل العرب ونجم النفاق وتطاول أعداء الإسلام وأصبح المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة المطيرة الشاتية.

وفي بقاع مختلفة ظهر مُدَّعُو النُّبُوَّة، وعموا أنهم يوحى إليهم كما كان يوحى لمحمد ﷺ، فظهر منهم الأسود العنسي ومسيلمة بن حبيب الكذاب وغيرهما، واستغلظ أمر مسيلمة، وعتا عتوًّا كبيرًا، هنالك وقف أبوبكر الصديق رضوان الله عليه وقفته المشهورة الحازمة، وقرَّر القضاء على جرثومة الردة في مهدها، فلقد استغلظ أمر مسيلمة الكذاب باليمامة، ولابد من التهيؤ والتضحية للقضاء عليه.

وسارت الجيوش المسلمة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمامة، وكان معه في هذا الجيش فارس حلقتنا زيد بن الخطاب، إذ كان على رأس المهاجرين يحمل رايتهم بيده[٣].

وكان هناك رجل اسمه (الرجال بن عنفوة) وكان قد أسلم وتعلم شيئًا من القرآن وصحب رسول الله ﷺ مدة، وقد مر عليه رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حيان فقال لهم: «أحدكم ضرسه في النار مثل أُحد» فلم يزالا خائفين

---

(١) البيض: جمع الأبيض وهو السيف.
(٢) فرسان في عصر النبوة (ص: ١٥٠ - ١٥١).
(٣) فرسان في عصر النبوة (ص: ١٥٢).

حتى ارتد الرجال مع مسيلمة وشهد له زورًا أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه، وألقى إليه شيئا مما كان يحفظه من القرآن فادعاه مسيلمة لنفسه فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة.

وقد كان مسيلمة بن حبيب كتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ، سلام عليك أما بعد؛ فإني قد أشركت في الأمر معك فإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، ولكن قريشا قوم يعتدون. فَقَدِمَ عليه رسولان بهذا الكتاب،فكتب إليه رسول الله ﷺ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.(١)

قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران للعصاة من المشركين والكافرين والمنافقين. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

وكان أصحاب النبي ﷺ يحترقون شوقًا لقتل هذا الخبيث (الرِّجال بن عنفوة) الذي استطاع أن يضل عددًا كبيرا من الناس، وأن يحشد الحشود لنصرة مسيلمة الكذاب.

ولكنه هناك أسد رابض في عرينه (زيد بن الخطاب) يتطلع لهذا الشرف العظيم ويريد أن يستأثر لنفسه بتلك المنقبة العظيمة - ألا وهي قتل الرجال بن عنفوة.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٤٧) بتصرف.

وكان زيد بن الخطاب من الذين يبحثون عن الشهادة أينما كانت ، فلما كان يوم اليمامة وجاء خالد بن الوليد ورفع اللواء لزيد بن الخطاب واصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل (أم تميم) زوجة خالد بن الوليد - حتى أجارها (مجاعة) جعلها في حمايته وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار. وقاتلت بنو حنيفة قتالًا لم يُعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم.

وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا. وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدمًا، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي[1].

وبمقتل (الرجال بن عنفوة) خارت عزائم مسيلمة الكذاب ومن معه، وتيقن كثير من الناس أن نبوة مسيلمة كانت وهمًا وخداعًا وكذبًا.

وانهال المسلمون على المرتدين حتى كتب الله لهم النصر.

وتاقت نفس زيد بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشهادة بعد أن هبت ريح الجنة، فاستنشق عبيرها، وفاح عطرها، فملأ أرض الشرف والبطولة.

كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين ويوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرحال، فجعل زيد يقول أما الرحال فلا رحال، وأما الفرار فلا فرار، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني اعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدو، ثم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٢٩).

ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية[١].

وسقط زيد ﷺ شهيدًا في أرض الشرف والبطولة، وعاد الناس إلى المدينة فرآهم عمر بن الخطاب، ولم ير معهم زيدًا فتقدم إليه من يبشره بأن الله رزقه الشهادة. فقال عمر: سبقني إلى الحسنيين. أسلم قبلي واستشهد قبلي.

نعم أيها الأخ الحبيب، إنه التسابق إلى كل طاعة توصل إلى رحمة الله - جل وعلا- إنها التجارة الرابحة مع الله عز وجل قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف١٠: ١١].

وقال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٠٧].

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٢].

أخي إنما الدنيا كسوق تزينت ∴ أقيم لنا وانفض عمر الفوانيا
وكل امريء لابد يدخل سوقها ∴ سواء بهذا كارهاً أم راضيا
ولابد من بيع ولابد من شرى ∴ ولابد يمشي رابحاً أو غاديا
وسلعته الكبرى التي يبيعها ∴ هي النفس لكن من يكون الشاريا
فإن باعها لله أعتقها إذن ∴ وكان له من جمرة النار واقيا
وجنة ربي كانت الثمن الذي ∴ سيقبضه الإنسان فرحان راضيا
وقد ربح البيع الذي تم عقده ∴ وجلَّ الإله المشتري جلَّ ربيا

(١) صفة الصفوة (١/ ١٨٤).
(٢) رواه مسلم (٣/ ٩٩، ١٠٠) موبقها: أي مهلكها.

فالدنيا سوق عباد الله والتجارة إما مع الله عز وجل وربحها الحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الأبدية في جنة الله عز وجل في الآخرة، وإما مع الشيطان، وربح هذه التجارة الشقاء والضنك والهم والغم والحزن في الدنيا، والشقاء الأبدي والجحيم السرمدي في الآخرة، كما قال ﷺ: **فبائع نفسه معتقها أو موبقها**» وليس هناك ثالث يساوم على نفس العبد وماله.

قال بعض السلف: رأيت العبد مُلقى بين الله عز وجل وبين الشيطان، فإن تولاه الله عز وجل لم يقدر عليه الشيطان، وإن تركه الله عز وجل أخذه الشيطان.

وأعلى تجارة وأغلاها هي التجارة مع الله عز وجل ، ببذل النفس والمال لله عز وجل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**» (٢) .

وهكذا أيها الأحبة في الله ، فبعد أن استشهد زيد بن الخطاب كان عمر يقول دائما: ما هبت الصبا إلا ذكرتني زيد بن الخطاب (٣) . فرضي الله عن زيد وعن عمر وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم وحد صفوف المسلمين، ولم شملهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي أمر المسلمين ويسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه يا سميع الدعاء ، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) رواه البخاري (٦/ ١٣) مسلم (٣/ ٢٦).
(٢) البخاري (١٣/ ٢١٧) ومسلم (١٣/ ٢٣).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٠) .

خالد بن الوليد ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا في هذا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل - خالد بن الوليد ﷺ - في الخطبة الأولى: قال أبوبكر ﷺ يوما : « **عجزت النساء أن يلدن مثل خالد**» .

وها هي الأيام تمر والسنوات تمضي، ما رأينا واحدًا مثله أبدًا، مع أن الأمة في أشد الحاجة إلى خالد يولد في كل يوم ليحمل لواء الإسلام الذي انتكس منذ عشرات السنين ولم يجد من يحمله».

إن خالدًا واحدًا فتح الله به البلدان، ودكَّ به الحصون ودمَّرَ به الكُـفران.

إني تـذكـرت والـذكـرى مورقة ∴ مجـدًا تليدًا بأيدينا أضعـناه
أنـى اتجهت إلى الإسـلام في بلد ∴ تجـده كالطير مقصوصًا جناحاه
كم صرَّفتنا يدٌ كنا نُصـرفهـا ∴ وبـات يملكنا شعب ملكنـاه
استرشد الغرب بالماضي فأرشده ∴ ونحن كـان لنا مـاضٍ نسينـاه
إنا مشينا وراء الغرب نقبس من ∴ ضيائه فأصابتنـا شـظايـاه
بالله سل خلف بحر الـروم عن عرب ∴ بالأمس كانوا هنا واليوم قد تاهوا
وانـزل دمشق وسائل صخر مسجدها ∴ عمن بـنـاه لعل الصخر ينعاه
هـذي معالم خـرس كل واحـدة ∴ منهن قامت خطيبًا فـاغـرًا فاه
الله يعلم ما قلَّبت سيرتهـم ∴ يـومًـا وأخـطـأ دمـع الـعين مجـراه
يا من يـرى عُمرا تكسوه بردته ∴ والـزيـت أُدم لـه والـكـوخ مـأواه
يهتز كـسرى على كرسيه فرقـا ∴ مـن خوفه ومـلـوك الـروم تخشاه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا ∴ يـشـيـدون لنا مجـدًا أضـعـنـاه [1]

وها نحن على موعد طال والله انتظاره مع مشهد الإسلام في عزته وقوته.. مع الرجل الذي رفع الله به هامات المسلمين ورايات الإسلام خفاقة عالية تناطح كواكب الجوزاء.

إنه خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد

---

(١) «صدقوا ما عاهدوا» للمصنف (١١٨).

الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكيّ وابن أخت أمير أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

هاجر مسلمًا في صفر سنة ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وحمل على العدو فكان النصر. وسماه النبي ﷺ سيف الله ، فقال: «إن خالدًا سيف سله الله على المشركين» وشهد الفتح وحنينًا، وتأمر في أيام النبي ﷺ ، واحتبس أدراعه لأمته في سبيل الله ، وحارب أهل الردة، ومسيلمة وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية بحيث أنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليالٍ في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء، ومناقبه غزيرة، أمَّرَه الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو، وأبو عبيدة عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء.

توفي بحمص سنة إحدى وعشرين[1].

أما عن قصة إسلامه ﷺ :

فإن الله لما ألقى الإسلام في قلب عمرو بن العاص ﷺ ، فخرج عامدًا إلى رسول الله ﷺ ليسلم بين يديه قال عمرو ﷺ : فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2]، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغْفَرَ لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو بايعْ ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) استقام المنسم : تبين الطريق ووضح .

وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت[١].

ولما أتى خالدٌ مسلمًا هو وعمرو بن العاص قال ﷺ: « **ألقت إليكم مكة أفلاذ أكبادها**». وقال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لخالد بن الوليد كُلَّ ما أوضع فيه من صدٍّ عن سبيلك**».

قال خالد: فوالله ما كان رسول الله ﷺ يوم أسلمت يعدل بي أحدًا من أصحابه فيما يجزئه.

وفي رواية: فيما حَزَبَهُ . وفي رواية عمرو: في أمر حربه[٢].

عباد الله: وها هو خالد «سيف الله» يحمي انسحاب المسلمين من مؤتة، ففي هذه المعركة بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: «**عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري**»، فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا نبي الله وأمي ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيدًا! قال: «**امضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير**» قال: فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى الصلاة جامعة فقال رسول الله ﷺ: «**ناب خيرٌ أو ثاب خير - ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو فأصيب زيد شهيدًا فاستغفروا له**» فاستغفر له الناس: «**ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشد على القوم حتى قتل شهيدًا أشهد له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدا فاستغفر له الناس، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، وهو أمر نفسه**»فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه وقال: «**اللهم هو سيف من سيوفك فانصره**» أو قال: «**فانتصر به**» فيومئذ سمي خالد سيف الله، ثم قال النبي ﷺ: «**انفروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد**» فنفر الناس في حَرٍّ شديدٍ مشاة وركبانا[٣].

(١) أخرجه أحمد في مسنده(٤/ ١٩٨، ١٩٩) وحسن إسناده الألباني في الإرواء(٥/ ١٢٢، ١٢٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٢)، (٧/ ٣٩٤).
(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٩٩) والنسائي (١٧٧) وقال العدوي: وإسناده صحيح.

وفي رواية عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[1]

وفي هذه المعركة العظيمة يخلع رسول الله ﷺ أرفع وسام على صدر خالد، وهو ينسحب بجيش المسلمين، فكيف يسمي رسول الله ﷺ خالد بن الوليد سيف الله وهو ينسحب - لهذا سببٌ أرق من نسيم الفجر وأحلى من الشهد.

فقد كانت معركة «مؤتة» أول معكرة يشترك فيها خالد بعد إسلامه، وبعد قتل قادة الجيش الثلاثة وانكشاف صف المسلمين، كما قال أبو عامر: انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى لم أر اثنين جميعًا.ودفع ثابت ابن أقرم اللواء إلى أبي سليمان خالد بن الوليد قائلا: »خذ اللواء يا أبا سليمان ، فأنت أدرى بالقتال مني، والله ما أخذته إلا لك».

وتلقى خالد اللواء، وأصبح قائدًا عامًّا لقوات المسلمين في أصعب ظروف.. جيش أنهكه القتال الشديد الضاري طيلة الأيام الستة.. ثلاثة آلاف مسلم يواجهون جيشًا قوامه مائتا ألف مقاتل، جيش قد انفرط عقده، وفقد تنظيمه، موقف جعل هذا الجيش مُهَيَّأً لأن يُدَمَّرَ تدميرًا كاملًا، أو يقع بكامله أسيرًا في قبضة الرومان وأحلافهم من العرب.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٢).

الحمد لله ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

واعتلى العبقري جواده، ودفع الراية بيمينه إلى الأمام، كأنما يقرع بها أبوابًا مغلقة آن لها أن تُفتح، على طريق طويل سيقطعه البطل وثبا وثبًا في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته، حتى تبلغ المقادير به أمرًا كان مقدورًا.

وقد كانت خطة انسحاب خالد بالجيش رائعة.. فقد قام بتبديل كلي في الميمنة والميسرة والقلب من جيشه، فجعل رجال ميمنة الجيش مكان الميسرة، كما جعل رجال الميسرة مكان الميمنة، كما استبدل رجال القلب برجال آخرين، كل هذا في ظلام الليل، وجعل مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة.. أي أنه سحب جيشه من ساحة المعركة وأبقى ساقة تحمي الانسحاب، نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحة شاسعة من الأرض، وأمرهم أن يحدثوا أصواتًا مرتفعة بما لديهم من أبواق وطبول حربية، وإثارة الغبار، بالخيل تدور بسرعة في دوائر ضيقة، كل هذا ليدخل في نفوس قادة الروم ويوهمهم أن جيشًا جديدًا ومددًا كبيرًا قد جاء لجيش المسلمين.

هذه هي الخطة التي وضعها القائد المحنَّك الفذّ، فأنقذ بها جيش الإسلام من فَنَاءٍ مُحَقَّق.

فقد وجد الرومان أنفسهم في أثناء تقابل الصفوف في اليوم السابع - أمام قادة وجنود وهيئات ورايات غير التي كانوا يواجهونها في الصفوف الأولى أثناء القتال في الأيام الستة الماضية.

ووجد الرومان غبارًا يسد الأفق من بعيد ناحية الجزيرة خلف ظهر الجيش الإسلامي، ودرت أصوات التهليل والتكبير، منبعثة من بين ثنايا ذلك الغبار الذي حجب الأفق، ثم انشق هذا الغبار عن كتائب من الفرسان، تتبع إحداهما

الأخرى في تنسيق وإحكام راكضة نحو المسلمين في مؤتة، قد رجفت الأرض رجفًا لوقع حوافر خيلها المنطلقة، وأصوات فرسانها تصم آذان الرومان بالتهليل والتكبير،واهتز معسكر المسلمين المواجه للرومان بالتهليل والتكبير، ودب الفزع في نفوس الروم وسادهم الهرج والمرج، ولسان حالهم يقول: إذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالرومان هذه الأفاعيل طيلة الأيام الستة، فما سعاهم فاعلين بعد مجيء هذا المدد؟!.

وأدرك خالد بحس القائد المحنك ما أصاب الرومان وحلفاءهم من خوف ورعب نتيجة خدعته الحربية البارعة المحكمة، فاغتنمها فرصة فأمر في الحال بالهجوم على خطوط الرومان، وبأسلوب عام صاعق كاسح، فتم له ما أراد.

وتضعضعت خطوط الروم الأمامية، وركبهم المسلمون، وأحدثوا فيهم مقتلة عظيمة كانت بكل معاني الكلمة «مذبحة» وصفها الواقدي في كتابه «المغازي» بقوله: فرُعبوا فانكشفوا منهزمين، فقتُلوا مقتلة لم يُقْتلها قوم قط»[1]

وقال ابن سعد في طبقاته: ثم أخذ خالد اللواء، ثم حمل على القوم، فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا»[2]

كان القتال ضاريا،خاضه المسلمون بحنق وغيظ، وكان الرومان في تراجعهم أمام هجوم خالد يقاتلون بشراسة، وليس أدل على عنف المعركة من قول خالد نفسه «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[3].

ولما كان هدف القائد خالد من كل الأعمال والخدع الحربية التي لجأ إليها هو أن يؤمن لجيش الإسلام انسحابا منظمًا من مؤتة اغتنم فرصة ارتباك الرومان واضطرابهم واعتقادهم أن المسلمين قد تلقوا نجدة من المدينة، فأصدر أوامره

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٧٦٤).
(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٠).
(٣) رواه البخاري، وأحمد في فضائل الصحابة.

إلى قادة الفرق والكتائب في جيش الإسلام بالارتداد بالجيش نحو الجنوب على تعبئة وانتظام كما هو متفق عليه بينه وبين هيئة أركان حربه عند وضع الخطة لهذا الانسحاب في الليل. فأخذ الجيش يغادر ميدان المعركة في مؤتة منسحبًا بكل هدوء وضبط وانتظام ويقظة.

وذُهِلَ الروم أمام هذه المفاجأة والخدعة الحربية البارعة - وما استطاعوا أن يتعقبوا المسلمين في أثناء انسحابهم مسافة ستمائة ميل، وخافوا أن يكون الانسحاب مكيدة حربية جديدة يدبر القائد خالد لإيقاع الجيش الروماني - إذا ما تتبع المنسحبين المسلمين - في كمائن قد أعدها مقدما، فأحجمت القيادة الرومانية لذلك عن تعقب المسلمين.

ووصل الجيش سالما إلى ضواحي المدينة «الجرف».

وعلم المسلمون بَعْدُ قدر تضحية خالد وبذله، وأن انسحابًا كهذا كان من الاستحالة بمكان، ولكن لا مستحيل على القلب الشجاع.. ومن أشجع من أبي سليمان قلبًا، وأروع عبقرية وأنفذ بصيرة؟!.

لقد كان يعلو بروح جيشه على أهوال الزحف بقوله لجنده: «عند الصباح يحمد القوم السرى» حتى ذهبت عنه مثلًا، وها هو ذا قد أتم مسراه فلذكراه المجد والخلد[1].

أما موقفه رضي الله عنه في فتح مكة فها هو مشهد النور الزاحف على مكة... مشهد المستضعفين الذين لا تزال جسومهم تحمل آثار العذاب والهول، يعودون إلى البلد الذي أخرجوا منه بغيا وعدوًا - يعودون إليه على صهوات جيادهم الصاهلة، وتحت رايات الإسلام الخفاقة وقد تحول همسهم الذي كانوا يتناجون به في دار الأرقم بالأمس - إلى تكبيرات صادعة رائعة ترج مكة رجًّا، وتهليلات باهرة

---

(١) ترطيب الأفواه، د/ سيد حسين (٢/ ٢٣٢: ٢٣٦).

ظافرة، يبدو الكون معها، وكأنه كله في عيد...!![١].

وقبل دخول مكة قال النبي ﷺ للزبير وخالد: «**لا تقاتلا إلَّا من قاتلكما**». وكان خالد على ميمنة قوات المسلمين وكان عليه أن يدخل مكة من أسفلها من «الليط» إلَّا أن بعض رجالات قريش جمعوا ناسًا بالخندمة أسفل مكة، ليقاتلوا المسلمين ويصدوهم عن فتح مكة، وكما قال خالد: « بدءنا بالقتال، ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح، وقد كففت ما استطعتُ ، ودعوتهم إلى الإسلام فأبوا، حتى إذا لم أجد بُدًّا من أن أقاتلهم، فظفَّرنا الله بهم، فهربوا من كل وجه»[٢] .

وقتل من المشركين ثمانية وعشرون رجلًا ثم انهزموا.

وعاد المسلمون إلى مكة على صهوات جيادهم الصاهلة، وتحت رايات الإسلام الخفاقة، وتكبيراتهم الصادعة الرائعة، ترج مكة رجًا، وتهليلاتهم الباهرة الظافرة، يبدو الكون معها وكأنه كله في عيد.

عباد الله: ولما فتح النبي ﷺ مكة في عام «الفتح» أرسل خالدًا على اللات والعزى فأتى خالد عليها فقال:

يـا عُـزَّ كُـفْـرَانَـكِ لا سبحانك ∴ إني رأيـــتُ الله قـد أهـانـك

وعن قتادة أن النبيﷺ بعث خالدًا إلى العُزَّى ، وكانت بهوزان، وسندتها بنو سليم ، فقال: انطلق ، فإنه تخرج عليك امرأة شديدة السواد طويلة الشعر ، عظيمة الثديين، قصيرة ، فقالوا يحرضونها:

يـا عُـزُّ شُـدِّي شـدةً لا سواكها ∴ على خالدٍ ألقي الخـمار وشمِّري

فـإنـك إن تقتلي المـرء خـالدًا ∴ تَبُوئي بذنب عاجل وتُقصِّري

---

(١) رجال حول الرسول (ص٣٦٤).
(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٠٩).

فشد عليها خالد، فقتلها، وقال: ذهبت العُزَّى فلا عزى بعد اليوم[1].

اللهم ابعث لهذه الأمة قائدًا ربانيًّا يقودها إلى الأقصى كخالد وأبي عبيدة وغيرهما من صحابة رسول الله ﷺ، اللهم من ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا في الأرض ومن ولي أمر المسلمين ويسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه ومكنه في الأرض، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) شرح المواهب اللدنية (٢/ ٣٤٨).

obeikandl.com

خالد بن الوليد ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا، اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ عن عبد الرحمن بن أزهر قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين يتخلل الناس. يسأل عن رحل خالد، فدُلَّ عليه، فنظر إلى جرحه، وحسبت أنه نفث فيه[1].

أما موقف خالد بن الوليد ﷺ في حروب الردة فله موقف خالد فلله در خالد.. إن مدة إسلامه التي قضاها إلى جانب الرسول ﷺ لا تتجاوز أربع سنوات، في حين قاتل شمالًا على حدود أرض الشام،وجنوبًا في اليمن، وشهد أحد عشر مشهدًا،

(١) قال الأرنؤوط: أخرجه أحمد (٤/ ٨٨ ، ٣٥١) وإسناده صحيح.

قاتل في ثلاثة مشاهد منها تحت لواء الرسول القائد ﷺ، وقاتل في ثلاثة مشاهد منها قائدًا مستقلًا، ولم يقاتل في خمسة مشاهد منها، بل أنجز واجبه سلمًا، فمن أين له الوقت الكافي لتحقيق كل هذه الأعمال!! .

لقد كان خالد موضع ثقة الرسول ﷺ، وكانت له قابليات نادرة في القيادة العسكرية خاصة، فلا عجب أن يقول الرسول ﷺ عنه: «نعم عبد الله وأخو العشيرة، وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين»[١] .

ولما خرج أبو بكر ﷺ إلى أهل الردة كان خالد بن الوليد يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا ورجع إلى المدينة وكان خالد يقول: ما أدري من أي يومي أفر؟ من يوم أراد الله - عز وجل- أن يهدي لي فيه شهادة أو من يوم أراد الله - عز وجل- أن يهدي لي فيه كرامة؟[٢] .

ولقد كانت حروب الردة - التي استمرت ملتهبةً حوالي سنة كاملة - أعنف ما شهد العرب المسلمون في تاريخهم العسكري، وأبرزت هذه الحروب وكشفت معادن الرجال، وخالد بن الوليد لم يقم أي محارب مقامه في منازلة أهل الردة والقضاء على فتنتهم، وكانت مسرح أعماله الرئيسية منطقة «بزاخة» ببلاد بني أسد، ومنطقة البطاح في ديار بني تميم، ومنطقة اليمامة موطن بني حنيفة وكانوا أكثر وأشرس قوة قارعها خالد في حياته[٣] .

وفي «بزاخة» التقى خالد بن الوليد مع طليحة الأسدي، فتقاتل الطرفان قتالًا شديدًا، ولما رأى طليحة أن كفة المسلمين رجحت على كفة أتباعه، ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها، وقال: يا معشر فزارة، من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل، وبذلك قضى خالد على فتنة طليحة وأعاد الإسلام إلى بزاخة. لقد حطم انتصار خالد معنويات أسد وغطفان والقبائل الأخرى كبني عامر وسليم وهوازن،

(١) الاستيعاب (٢/ ٤٢٩).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٧٥).
(٣) صلاح الأمة، د/ سيد حسين (٣/ ٥٤٩).

فبايعوه وعادوا إلى الإسلام، ولم يقبل منهم إلا أن يأتوه أولًا بالذين حرقوا ومثَّلوا وعدوا على الإسلام،فأتوا بهم، فمثَّل بهم وحرقهم، ورضخهم بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار[1].

أما موقفه التاريخي في اليمامة مع مسيلمة الكذاب: فبعد أن أخفق عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة في القضاء على المرتدين في اليمامة، سار إليها خالد، فلما كان على بعد ليلة من معسكر مسيلمة، هجم على مفرزة من بني حنيفة بإمرة مجاعة ابن مرارة الحنفي قوتها ما بين ثلاثين أو أربعين فارسًا، فأسرهم وقتل أصحاب «مجاعة»، واستحياه رهينة لشرفه في بني حنيفة. والتقى الجمعان في عقرباء. واشتد القتال، وتكسرت في يد خالد تسعة سيوف، واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل،وانهزم المسلمون حتى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد - خيمته - ولكن المسلمين عادوا فاستقتلوا، فقال خالد: يا أيها الناس، امتازوا - تميزوا وانفصلوا - لنعلم بلاء كُلِّ حَيٍّ ولنعلم من أين نؤتى. وكان النصر بعد جهد جهيد لأنصار دين الله،وانتصر ثلاثة عشر ألف مسلم على رجال مسيلمة ، وعددهم حوالي أربعين ألف مقاتل أو أكثر، وقُتِلَ من بني حنيفة في معركة اليمامة أربعة عشر ألفًا، وقُتِلَ منهم في الطلب سبعة آلاف، وقتل عدو الله مسيلمة، وقتل من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة، وثلاثمائة من التابعين، وقُتِلَ من القراء خمسمائة، فكان جملة من قُتِلَ من المسلمين ألفا ومائتي شهيد، أي أن نسبة شهداء المسلمين إلى قتلى المشركين تعادل ستة بالمائة فقط،وهذا يعد من أروع الانتصارات.

فلله درك يا خالد وأنت تريد قتل مسيلمة، وما تطلب من الفرسان حين تشد عليه إلَّا حماية ظهرك فقط، وتقول:« لا أوتين من خلفي» ، فلا يثبت لك الكافر.

لقد أبلى خالد في قتال أهل الردة بلاءً عظيماً.. ولله در أبي بكر حين قال فيك: «ما

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ١٣٢).

كنت لأشيمَ سيفًا سلَّه الله على الكافرين» [١].

وأما الصفحات المشرقة من البطولات في العراق مع الفرس والتي سطرها خالد على جبين التاريخ سطورًا من النور، فلقد كان خالد قائدا لا يُجارى ولا يبارى في خططه وشجاعته، فلقد كانت معاركه أغرب من الخيال وله في كل معركة ذكر ونبأ تطير بذكره الركبان.

أما معركة كاظمة فقد كان فيها قائد الفرس (هرمز) أرسل إليه خالد رسالة مع رجل اسمه أزاذبه وكان نص رسالة خالد: أما بعد: فأَسْلَمْ تُسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومنَّ إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

ورفض هرمز الإسلام واستعد للحرب.

وكان خالد قمة في سياسته العسكرية، وقدرته على المناورة وخداع، العدو، لإنزال الهزيمة به بأقل خسارة ممكنة في جيش الإسلام ، فتوقع هرمز أن خالدًا سيتجه بجيشه إلى كاظمة في أول الأمر، فوجه قواته كافة إلى كاظمة واستعد جنده وحفروا الخنادق، ولكن خالد الذي قسم جيشه وفرقه إلى ثلاث فرق، لم يحملهم على طريق ليُعَمِّي وجهته عن عدوه، فيظل في حيرة من أمره حتى آخر لحظة، وأربك خالد القائد الفارسي وفتت أعصابه، فتخطى كاظمة واتجه نحو الحفير الواقعة شمال كاظمة وغربي (الأبلّة) .

وعندما لم يجد هرمز أي أثر لخالد في كاظمة، وأنه تخطاها نحو الحفير اغتاظ وأصدر أمره إلى الكتائب في جيشه بأن يعودوا جميعًا إلى الحفير لمصادمة جيش خالد، وأمر هرمز قواته بأن تجهد نفسها في التحرك، ليسبق خالدًا إلى الحفير، وهذا هو الذي هدف إليه خالد رضي الله عنه أن يرهق عدوه نفسيًا وجسديًا قبل نشوب المعركة، وعن عمد تباطأ خالد بجيشه في السير نحو «الحفير» ليسبق إليها القائد هرمز في الحفير

---

(١) الطبري (٢/ ٥٠٣).

استعدادًا لمواجهة خالد، ولما تلقى خالد من استخباراته أن هرمز قد أرهق جنده بحفر الخنادق والتعبئة للقتال، عطف بجيشه راجعًا إلى كاظمة، وكان المغاوير من مقاتلي الفرس بعد حفر الخنادق في الحفير قد ربطوا بعضهم ببعض بالسلاسل، توطينا لأنفسهم على الموت، أو إحراز النصر، ولما أبلغت «هرمز» استخباراته أن خالدًا وجيشه قد عطف نحو الكاظمة راجعًا، استشاط غضبًا وتوتر أعصابه، فأصدر أمره إلى جيشه بالعودة نحو كاظمة وهناك وجد خالد في انتظاره، قد عبأ جيشه للقتال،وكانت قوات الفرس أضعاف أضعاف المسلمين، وحال هرمز وقواته بين المسلمين وبين نهر الفرات، ومنعوهم الماء، فقال خالد كلمته الخالدة: ألا انزلوا وحطوا رحالكم، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين[1] ودعا هرمز خالدًا للبراز - المبارزة - وسرعان ما أجابه خالد ، ولكن هرمز الخبيث - الذي ضرب به المثل فيه فقيل: أخبث من هرمز، قد عهد إلى فرسانه عهدًا للغدر بخالد، فلما نزل خالد نزل هرمز، ومشى إليه خالد، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، واحتضن خالد، وحملت حامية هرمز وغدرت، فاستلحموا خالدًا- أي تبعوه-. فما شغله ذلك عن الهرمزان، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز، فأبادها جميعًا، أما خالد فقد تمكن في الحال من ذبح هرمز ذبح النِّعَاج، وركن الفرس إلى الفرار بعد قتل قائدهم، فركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون إلى الليل، ولم ينج من الفرس إلا من استطاع ركوب السُّفن، وجمع خالد المتاع وفيها السلاسل، فكانت وقر بعير، ألف رطل، فسُمِّيت «ذات السلاسل» ونفّل أبو بكر ﷺ خالدًا قلنسوة هرمز، وكانت قيمتها مئة ألف[2].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٩).
(٢) صلاح الأمة (٣/ ٥٥٢، ٥٥٣).

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد:

لقد رفع الإسلام من شأن العرب، وقد كانوا قبله حُفاةً عراةً ، لا شأن لهم في الأرض، ولا ذكر لهم في السماء، أذلهم الفرس، حتى إن سابور الثاني والملقب بذي الأكتاف كان يقوم بتعذيب الأسرى من العرب، فيقتلهم عن طريق نزع أكتافهم، فنزع أكتاف خمسين ألف عربي من تميم وبكر بن وائل حتى قالت له عجوز عربية: «إن لهذا قصاصا ولو بعد حين». الفرس الذين كانوا أشجع وأشد بأسا من العرب، بجيشهم الكبير الذي يقوده ألمع قادة الفرس وأمهرهم ، يذلهم خالد ويقتلهم ويأسرهم .. حتى صار ذكره يُقِضُّ مضاجع الفرس.. ويبدو هذا في معركة الأُبلَّة.

لقد سار خالد بجيشه إلى الأُبلَّة، وفيها جيوش كثيفة للفرس، (وسبق سويد بن قطبة الذهلي). وكان من جيش خالد - في جماعة في اتجاه الأبلة، وعسكر حولها، ولما وصل خالد بقواته مكان البصرة اليوم ، وجد سويدًا يتعقب أهل الأبلة في انتظار أن يهاجموه، فيقاتلهم خارج مدينتهم، ولكنَّ سويدًا أخبر خالدًا بأن أهل الأُبلَّة يهابون مقامه، وأنهم سيظلون معتصمين بقلاعهم ما دام خالد موجودًا في المعسكر، فقال سويد لخالد:

إن أهل الأُبلَّة قد جمعوا لي ولا أحسبهم امتنعوا مني إلا لمكانك؛ أي خوفا منك.

وهناك رسم خالد بالاتفاق مع سويد خطة يخدعون بها الفرس، حتى يأمنوا فيخرجوا لمقاتلة سويد وذلك بحيث يعتقدون أن خالدًا الذي بث. في قلوبهم الرعب بعد قتله هرمز، قد ترك معسكر سويد وأن لم يبق قائد للمسلمين في المعسكر سوى سويد فقط، فقال خالد لسويد: فالرأي أخرج من المعسكر نهارًا، ثم أعود إليه ليلًا، فأدخل بأصحابي، فإن صبحوك حاربهم.. ونفذ خالد خطته لتضليل حامية الأُبلَّة الفارسية، واستدراجهم لمهاجمة سويد، فتوجه خالد بمعظم قواته في وضح النهار في اتجاه الحيرة، فاطمأن الفرس إلى ترك خالد للمكان، وعاد رضي الله عنه بقواته إلى

المعسكر ليلًا، فلما خرجت جيوش الفرس من الأُبلَّة ، قاصدين مهاجمة سويد، وما كادوا يصلون مدخل معسكر سويد، حتى رأوا كثرة العساكر وهم في أهبة الاستعداد، فأُسْقِط في أيديهم لما علموا بوجود خالد في المعسكر، ولم يشرع الفرس سيفًا ولا رمحًا في وجه خالد، وما كان همهم إلا الفرار للعودة إلى الأبلة المحصنة فولوا الأدبار مسرعين نحو أبواب المدينة،ولكن خالدًا حال بينهم وبين ذلك، وانفرط عقد جيش الأبلَّة، وتمزق شملهم وكثر القتل فيهم، وقذف كثير منهم نفسه في نهر دجلة والفرات فغرقوا وبعث خالد معقل بن مقرن المزني إلى الأبلَّة التي كانت خالية من المحاربين، فسيطر عليها بدون قتال، وجمع ما فيها من غنائم وأسلحة[1].

وبعد أن سيطر خالد على نقطة حربية مهمة يقال لها: الحزيبة – وكانت من مسالح العجم.

جهز شيرويه ملك الفرس جيشًا جرارًا، وأعطى قيادة الجيش لأكبر قائد من قواده وهو قارن بن قرباس يسانده قائدان كبيران وهما: الأنوشجان وقباذ، وكان هذا الجيش يضم أيضا فلول الأبلة والكاظمة وأهل الأهواز وفارس والسواد والجبل،وتعاهدوا بعدم الفرار.

وبلغت قوات فارس ما يقارب الثمانين ألفا، بينما في حين كان خالد في جيش لا يزيد على ثمانية عشر ألفًا. وبدأت المعركة اللاهية بدعوة قارن إلى البراز إليه اثنان من المسلمين: خالد بن الوليد، وأبيض الركبان معقل بن الأعشى النباشي فسبق معقل على فرسه خالدًا، وبارز قارنا فقتله في الحال، وهجم عاصم بن عمرو على الأنوشجان فقتله في الحال، وبادر البطل الميمون عدي بن حاتم إلى القائد «قباذ» فقتله ، وقاتل الفرس على حنق وحفيظة، واضطرب شمل الفرس بعد مقتل قارن، وكان شرف قارن قد انتهى، أي أنه وصل إلى أعلى رتبة عسكرية في فارس ،وقتل من الفرس ثلاثون ألفا، سوى من غرق في دجلة بحديده ، »ولولا المياه لأتى المسلمون

(١) نقلا من صلاح الأمة (٣/ ٥٥٣- ٥٥٥).

على آخرهم، ولم يفلت منهم إلا عراة أو شبه عراة»[١]

وظل خالد ينتقل بالمسلمين من نصر إلى نصر - بإذن الله وتوفيقه - وراح يقذف بجنوده على الباطل فيدمغه وطويت له الأرض طيًّا.

فها هو ينتصر في معكرة الولجة بخطة رائعة.

حقد نصارى العرب وهم من (تغلب وبكر بن وائل) على المسلمين بعدما أصابهم في الولجة، فاستغاثوا بكسرى (شَيرويه) ليمدهم بجيش فارسي، ليشتركوا سويا في القضاء على خالد وجيشه، وكان على العرب في أليْس عبد الأسود العجلي، ووصل جابان على رأس جيش كثيف من الفرس، وتولى جابان القيادة العامة، وكان عبد الأسود قائد خليط نصارى العرب، وهم من بكر بني وائل بني عجل، وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة،وانضم إليهم زهير ومالك ابنا قيس من قبيلة جذرة العربية النصرانية. وصل خالد بجيشه، والمجوس قد مدوا البسط يستعدون للغداء، وقد وضع الطعام الفاخر على البسط، وأصابهم الغرور وهم فيما يقارب المائة والخمسين ألف محارب، وخالد في جيش لا يزيد على ثمانية عشر ألفا، فلم يحفلوا بخالد وأقبلوا على طعامهم، فقال لهم قائدهم جابان: اتركوا الطعام، واستعدوا للصدام. فلما عصوه قال: إن القوم سيعجلونكم قبل أن تطعموا الطعام، وإنكم إنما هيئتموه لهم ليأكلوه بدلًا منكم فعصوه، وبسطوا البسط، ووضعوا الأطعمة، ودعا بعضهم إلى بعض، وتوافوا إلى البسط، وزحف خالد والمسلمون، فأجبروا الفرس على القيام عنه، وأجهضوهم عنه قبل أن، يطعموه. ودعا خالد للبراز ونادى أين أبجر بن عبد الأسود، أين مالك بن قيس؟، فجبنوا جميعًا عن مبارزته إلا مالك بن قيس، فإنه خرج إلى خالد ، فقال له خالد مُوبِّخًا ومُحتقرًا : يا ابن الخبيثة، ما جرأك؟! لست لي علي من بينهم، وليس فيك وفاء». أي أنك لست لي بكفء . ثم ضربه ضربة قتله في الحال. ومع ذلك فقد اقتتلوا قتالًا شديدًا كان أشد من أي قتال سبق، لأن نصارى العرب كانوا شديدي الغيظ لخالد، لقتله ابني زعيمهم في الولجة، وصبر الفرس صبرًا شديدًا، ولقي المسلمون مقاومةً عنيفة حتى

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٢).

شق عليهم الأمر.

قال خالد: ما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس، وما لقيت من أهل فارس قومًا كأهل أُليس. ونذر خالد لله أن تجري نهرا من دمائهم إن منحه الله النصر عليهم، فقال: اللهم إن لك عليّ إن منحتنا أكتافهم، ألّا استبقي منهم أحدًا قدرنا عليهم حتى أجرى نهرهم بدمائهم.

وانتاب الفرس والنصارى الذعر والخوف عندما رأوا ثبات المسلمين وشدة ضرباتهم، وركنوا إلى الفرار، وركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون، ونادى منادٍ خالدًا حتى يفي بنذره: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع. فأقبلت خيول المسلمون بهم أفواجًا مستأسرين يُساقون سوق الأنعام، فجمعهم خالد وقد حَبَس الماء عن النهر، فوكل بهم رجالًا يضربون أعناقهم في النهر يومًا وليلة، على رجاء أن يسيل النهر بدمائهم، وهنا قال القعقاع وغيره لخالد: لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجد دماءهم، ولكن أرسل على الدماء الماء، فيجري النهر دما لِتبرَّ بيمينك. فعمل خالد بمشورة القعقاع وأعيد الماء إلى النهر، فجرى أحمر قانيا، فسمى لذلك نهر الدم، وعرف بذلك إلى قرون طويلة. قالوا: وكانت على النهر طواحين تدار بالماء، فطحنت بالماء وهو أحمر اللون قوت العسكر ثمانية عشر ألفا - أو يزيدون - ثلاثة أيام، وأكل المسلمون طعام الفرس الذي وضعوه على البسط، بعد أن قتلوا من الفرس ونصارى العرب سبعين ألفًا أكثرهم من أهل أمغيشيا. وزُفَّ خبر النصر إلى الصديق، فتوج خالدًا بشهادة من أرقى الشهادات، وحسبك بها من شهادة، فهو لا يرى لخالد نضيرًا في عبقريته وشجاعته، ولا نظير له في عسكريته، فرضي الله عن خالد وعن سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه ومكنه في الأرض، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

خالد بن الوليد رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثالثة عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من مناقب سيف الله – خالد بن الوليد – أن الله نصره بالرعب « يوم أمغيشيا» وكانت أعظم وأهم من أُلَّيس، وكانت على بعد أربعين كيلو مترًا من أُلَّيس، فتملكهم الرعب، وفر أهلها من مدينتهم خوفا من خالد، وتركوا وراءهم كل شيء.

وجاءت بعدها معركة المقر واستسلام الحيرة، فلقد استطاع خالد – بإذن الله – أن يفتتح تلك المدينة بعد أن استسلموا وفاوضوا خالد وأقروا بدفع الجزية مائة وتسعين ألف درهم تقبل كل سنة، وأصبحت عاصمة المناذرة وعاصمة الأقاليم وعاصمة كسرى الثانية تحت سيطرة المسلمين وحمايتهم.

ومن فضائل خالد بن الوليد ﷺ شرب السم فلم يضره، فعن قيس أنه قال: أُتي خالد بسمٍّ فقال: ما هذا؟ قال: سمٌّ فَشَرِبَهُ [١] وفي أمهات كتب التاريخ، أن ابن بقيلة حكيم نصارى العرب، ومعتمرهم وأرجح قومه عقلًا. لما دخل على خالد، اصطحب معه إلى مقر قيادة خالد خادمًا يحمل كيسًا صغيرًا في وسطه، فتناوله خالد وقال: ما في هذا الكيس؟ ، ونثر ما فيه في راحته، ثم قال: ما هذا يا عمرو؟ فقال عمرو: هذا والله سم ساعة. فقال خالد: ولم تحتقب السم؟ وكان رأس أهل الحيرة وكبير الذين فاوضوا خالدًا من أهل الحيرة - قال عمرو: خشيت أن تكون على غير ما رأيت من العدل وقد أتيت على أجلي، والموت أحب اليّ من مكروه أدخله على أهل قريتي. فأخذ خالد السُّمَّ المذكور، وتلا هذا الدعاء: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي لا يضر مع اسمه داءٍ، الرحمن الرحيم. ثم وضع السم في فمه، وبادروه ليمنعوه، لكنه قد سبقهم فابتلعه، وانتظروا ساعة ليصرع السم خالدًا فمضت ولم يضر السم خالدا. كيف لا وهو من أكابر أولياء الله المتقين، وسيد المجاهدين في الشام والعراق، فقال عندها ابن بقيلة: والله يا معشر العرب لتملكُنَّ ما أردتم.

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: هذه والله الكرامة، وهذه الشجاعة[٢].

وما زال خالد يسير في ظل تلك الكوكبة الرائعة من الفتوحات والانتصارات إلى أن جاء الأمر من الصديق بأن ينتقل إلى جبهة أخرى لقتال الروم في أرض الشام، وهنا قام خالد بانتقاء مجموعة من قواته وترك على العراق المثنى بن حارثة واستطاع بفضل الله تعالى - أن يقطع البرية السماوية من العراق إلى الشام في خمس ليالٍ فقط!.

وحين اشتد الكرب على المسلمين بالشام، وذلك لكثرة الروم وحلفائهم الهائلة

---

(١) رواه أحمد. والطبراني في الكبرى (٣٨٠٩)، وقال العدوي: إسناده صحيح.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٧٦).

التي بلغت ربع مليون مقاتل، بينما في حين أن جيوش الإسلام كلها لا تزيد على اثنين وثلاثين ألفًا، وأرسل أبو عبيدة إلى أبي بكر الصديق وبعد: فإن الروم أهل البلد، ومن كان على دينهم من العرب، قد أجمعوا على حرب المسلمين، ونحن نرجو النصر، وإنجاز موعود الرب تبارك وتعالى وعادته الحسنة، وأحببت إعلامك لترينا رأيك.

فقال الصديق كلماته العطرة: خالد لها، والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد[1].

وفي فتوحات الشام عبأ خالد جيشه وقسمه إلى فيالق ووضع للهجوم والدفاع خطة جديدة تتناسب مع طريقة الروم.

وها هو يفتح المدن ويدك الحصون - بإذن الله - وبينما هو في تلك الفرحة الغامرة من تلك الانتصارات التي أكرم الله بها المسلمين.وإذا برسالة عاجلة تأتي وفيها خبر موت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر توفي الصديق رضي الله عنه وتولى عمر الخلافة، فعزل خالدًا في أثناء حصار المسلمين لدمشق، وهو الحصار الذي لم يتم فتح دمشق فيه[2].

لقد أقبل الروم في تلك المعركة وكان عددهم مائتي ألف يقودهم أعظم قادة الرومان باهامان - أو - ماهان وكان عدد المسلمين ستة وثلاثين ألفًا. منهم ألف رجل من الصحابة فيهم مائة بدري.

ولما اجتمع أبو عبيدة مع قادة جيشه بالجابية قال خالد: أرى والله إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة، هم أكثر منا وأقوى، ومالنا بهم إذن طاقة. وإن كنا نقاتلهم بالله ولله، فما أن جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعًا، أنهم تغني عنهم شيئا. ثم غضب وقال لأبي عبيدة: أتطيعني أنت فيما آمرك به؟، قال له أبو عبيدة: نعم. قال خالد: فولني ما وراء بابك، وخلني والقوم، فإني لأرجو أن ينصرني الله عليهم، قال: قد

---

(١) الطبري (٢/ ٦٠٢) نقلًا من علو الهمة، د/ سيد حسين (٣/ ٥٧٤).

(٢) وعند الطبري (٢/ ٥٩٥)، وابن الأثير (٢/ ٨٥): أن عزل خالد كان في أثناء معركة اليرموك.

فعلت. وهكذا تولى خالد القيادة العامة على جيوش المسلمين في يوم اليرموك.

وجمع باهان جنده، وقال لهم: « أنتم عدد الحصى والثرى والذر، فلا يهولنكم أمر هؤلاء القوم، فإن عددهم قليل، وهم أهل الشقاء والبؤس، وجلهم حاسر جائع، وأنتم من الملوك وأبناء الملوك، وأهل الحصون والقلاع والعدة والقوة، والسلاح والكراع، فلا تبرحوا الميدان وفيكم عين تطرق حتى تهلكوهم أو تهلكوا أنتم.

وعلى اليرموك اجتمع خالد مع باباهان قائد الروم بين الصفين، فقال باهان [ماهان]: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا، وترجعون إلى بلادكم، فإن كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك» ، فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نتحدث به عن العرب[1].

ولما جاءت جموع الروم كالسيل والليل،وهم يجرون الشوك والشجر ليصنعوا منها دفاعات، ومعهم صُلُبُهُم والقسيسون والرهبان والأساقفة والأباطرة. وعَبَّأ خالد جيشه في تعبية لم تعبِّيها العرب من قبل؛ إذ نظم جيشه في ستة وثلاثين كردوسًا[2] إلى الأربعين، وقال: « إن عدوكم قد كَثُرَ وطغى، وليس من التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس».

ولوى البطل زمام جواده عائدًا إلى صفوف جيشه. ورفع اللواء عاليًا مؤذنا بالقتال.. [الله أكبر].

[هُبِّي رياح الجنة]

كان جيشه يندفع كالقذيفة المصبوبة.

ودار قتال ليس لضراوته نظير.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩ - ١٠).

(٢) الكردوس: مفرد كراديس، وهي كتلة من الجنود يتألف من ألف مقاتل.

وأقبل الروم في فيالق كالجبال.

وبدا لهم من المسلمين ما لم يكونوا يحتسبون.

ورسم المسلمون صورًا تُبهر الألباب من فدائيتهم وثباتهم...

فهذا أحدهم يقترب من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه والقتال دائر، ويقول: [إني قد عزمت على الشهادة، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ أبلغها له حين ألقاه؟ فيجيب أبو عبيدة: [نعم.. قل له يا رسول الله، إنا قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقًّا]. ويندفع الرجل كالسهم المقذوف .. يندفع وسط الهول مشتاقًا إلى مصرعه ومضجعه .. يضرب بسيفه ، ويضرب بآلاف السيوف حتى يرتفع شهيدًا..! وهذا عكرمة بن أبي جهل. أجل. ابن أبي جهل.

ينادي في المسلمين حين ثقلت وطأة الروم عليهم قائلا: [لطالما قاتلتُ رسول الله ﷺ قبل أن يهديني الله إلى الإسلام، أفأفِرُّ من أعداء الله اليوم]؟ .

ثم يصيح: [من يبايع على الموت]. قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين.

عندما نادى عكرمة بن أبي جهل في مقاتلة الروم: « من يبايع على الموت» ، بايعه على الموت كوكبة من المسلمين ثم يطلقون معًا إلى قلب المعركة لا باحثين عن النصر فحسب.. بل عن الشهادة ويتقبَّل الله بيعهم وبيعتهم فيستشهدون...![1] .

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص٣٧٦: ٣٧٧).

وبعث الروم رجلًا من خيارهم وعظمائهم اسمه «جرجة» فوالله ما إن سمع كلام المسلمين حتى أسلم، وكان له نجدة ونكاية في المشركين.

قال جرجة عند إسلامه لخالد: « يا خالد، أصدقني ولا تكذبني؛ فإن الحُرَّ لا يكذب، ولا تخادعني، فإن الكريم لا يُخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه، فلا تَسُلُّه على قوم إلا هزمتهم؟» قال: لا. قال: فبم سميت سيف الله المسلول؟، فقال له خالد فيما قال: إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ، فدعانا فنفرنا عنه، ونأينا منه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به فتابعناه، فقال: «**أنت سيفٌ من سيوف الله سلَّه على المشركين**» ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين» قال: صدقتني[1].

ثم أسلم جرجة ، وخرج باهان في جيشه وعلى مسيرته الدرنجار، وزحف الروم إلى المسلمين مثل الليل والسيل يدفون دفيفًا، قد رفعوا الصُّلبان. فقال رجل: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين. فقال خالد: ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال. أبالروم تخوفني.

وعندما اشتد هجوم الروم، نادى خالد: يا أهل الإسلام، لم يبق عند القوم من الجلد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم، فالشدة الشدة، فوالذي نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر عليهم الساعة، إني لأرجو أن يمنحكم أكتافهم». كان خالد في نصف فرسان المسلمين خلف جناحهم الأيمن، في حين كان قيس بن هبيرة المرادي في نصفهم الآخر خلف جناح المسلمين الأيسر، وفي اللحظة الحاسمة التي تضعضعت فيها صفوف الروم، زحف خالد في فرسانه إلى الروم حتى تصافحوا بالسيوف، واعترض خالد الروم وإلى جنبه أكثر من مائة ألف، فحمل عليهم، وما هو إلا في نحو ألف فارسٍ، فما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم ذلك.

---

(١) الطبري (٣/ ٣٩٨) وتهذيب بن عساكر (١/ ٥٤٧).

وانتهت قصة الروم في أرض الشام، أتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد، وقاتلوا المسلمين قتالًا شديدًا ، ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط، ورزق الله المسلمين الصبر، وأنزل عليهم النصر، فقتلهم الله في كل قرية وشعب وواد وجبل وسهل.

وفي غمرة هذا النصر العظيم يأتي قرار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بعزل خالد رضي الله عنه من قيادة الجيوش.

ولله دَرُّهُ حين عُزل وهو في المعركة، وفي أوج انتصاره فما ترك العزل في نفسه أثرًا، لا فرق عنده أن يكون قائدًا عامًّا، أو قائدًا مرؤوسًا، أو رجلًا من المسلمين. هذه والله العظمة الإنسانية في أبهى مشاهدها، خالد يستل النصر من بين أنياب الروم، وهو ترياق وساوس التَّجَبُّر والصَّلَف والبغي عند الروم،وسيف الله المسلول على قوى التَّعَفُّن والشرك يفاجأ بالإقالة!! لقد كان مسلكًا بالغ الروعة والعظمة والجلال[1].

وتالله إنني أتعجب من هذا القدر العظيم من الإخلاص الذي لا يخطر على قلب بشر... فهو يجاهد لله - جل وعلا - لا من أجل منصب ولا جاه ولا رئاسة ولا زعامة. فسواء عليه أن يكون أميرًا، أو جنديًّا.

إن الإمارة كالجندية، كلاهما سبب يؤدي به واجبه نحو الله الذي آمن به، ونحو الرسول الذي بايعه، ونحو الدين الذي اعتنقه وسار تحت رايته.

وجهده المبذول وهو أمير مطاع.. كجهده المبذول وهو جندي مطيع..!!

ولقد هيأ له هذا الانتصار العظيم على النفس، كما هيأه لغيره، طراز الخلفاء الذين كانوا على رأس الأمة المسلمة والدولة المسلمة يومذاك .. أبوبكر وعمر[2].

ولقد بيَّن الفاروق رضي الله عنه السبب الذي من أجله عزل خالدًا رضي الله عنه فقال: « إني لم

(١) صلاح الأمة في علو الهمة، د/ سيد حسين (٣/ ٥٩٤ ، ٥٩٧) بتصرف.
(٢) رجال حول الرسول ﷺ، خالد محمد خالد (ص ٢٨٢).

أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فُتِنُوا به فخفت أن يوكلوا إليه فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة»[١].

عن مولى لآل خالد بن الوليد، أن خالدًا قال: ما من ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها محب أحب إلى من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أُصَبِّح العدو[٢].

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله.. نام (سيف الله) على فراش الموت حزينًا على أنه بعد تلك المعارك التي خاضها لم يمت شهيدًا.

وأقول لك يا خالد الاسم والذكر: إن كان رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[٣] فكيف بك يا خالد وقد فتح الله على يديك البلاد وقلوب العباد..وكان المسلمون معك ينتقلون دومًا من نصر إلى نصر - بإذن الله -.

تالله إني لأرجو الله أن يرزقك أجر شهداء المسلمين في كل زمان.. فلقد كان لسيرتك الأثر العظيم في نفس كل شهيد بذل ماله ودمه ونفسه في سبيل الله.

لما حضرت خالدًا الوفاة، قال: لقد طلبتُ القتل في مظانه فلم يُقَدَّرْ لي إلَّا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيءٌ أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتُّها وأنا متترس، والسماء تهلّني ننتظر الصبح حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا متُّ ، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله، فلما توفي، خرج عمر على جنازته، فذكر قوله: ما على آل الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن[٤].

وفي رواية: وما عليهن أين يبكين أبا سليمان.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٥٠) ونسبه إلى أبي يعلى وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم عن سهيل بن حنيف، صحيح الجامع (٦٢٧٦).

(٤) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: ذكر الحافظ في الإصابة (٣/ ٧٤).

وعن نافع قال: لما مات خالد لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه، فقال عمر رضي الله عنه: رحم الله أبا سليمان، كان على ما ظننناه به[١].

وقال عمر لخالد رضي الله عنه في حياته: يا خالد، والله إنك لكريم عليَّ، وإنك لحبيب إليَّ. وبعد موته قال عمر: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا تُرتق.

وقال فيه أيضًا: كان والله سدَّادًا لنحورا العدو ميمون النقيبة.

وعن أبي العجماء السلمي قال: قيل لعمر: لو عزلت يا أمير المؤمنين. قال: لم أدركت أبا عبيدة ثم وليته ثم قدمت على ربي، فقال لي: لِمَ استخلفته؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: «**لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**» ولو أدركت خالدًا ثم وليته، فقدمت على ربي، لقلت، سمعت عبدك وخليلك يقول: «**خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله سله الله على المشركين**»[٢]. كلمات عذاب رطاب في الثناء على خالد من عمر وكفى.

لقد خُلِقَ خالد ليكون قائدًا، فعاش قائدًا ومات قائدًا، فغاب جسده، ولكن بقي حيًّا في النفوس، وآثاره بقيت خالدة في التاريخ، وانتصاراته كانت ولا تزال وستبقى معجزة من معجزات تاريخ العرب والإسلام، بل تاريخ الحرب لكل الأمم في كل مكان»[٣]

فرضي الله عن خالد وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا من ورثة جنة النعيم بفضلك ومنك وجودك يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين. اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين وكافة أعداء الدين. وقوموا إلى صلاتكم..

---

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ١/ ١٢١).

(٢) رواه ابن عساكر عن عمر بن الخطاب ... وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٠٧).

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة (ص٢٣٦).

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن صحابي جليل كان النبي ﷺ أستاذه ومعلمه وقدوته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أباه! .

إنه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي.

أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم، واستُصغِرُ يوم أُحد ، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٠٣/ ٢٠٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم أُحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني[١].

استجاب ابن عمر رضي الله عنهما لأمر الله، وعرف عظيم أجر المجاهدين، فأوتي القوة في الجهاد، وحُقَّ لمن كان أبوه بطلًا من أبطال الإسلام، وأستاذه قائد الأبطال، أن يتقدم راغبًا في الجهاد وهو لا يزال غض الشباب، لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره.

وكان النبي ﷺ يحقق لابن عمر وأقرانه من الصغار بعض رغبتهم في الجهاد، فيكلفهم بحراسة الذرية في المدينة كتدريب أولي على تحمل المسؤلية وحمل السلاح. وبعد أن أتم الخامسة عشرة شهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد في عهد الخلافة الراشدة «اليرموك»، وفتح مصر، وفتح أفريقية[٢].

وسجل لنا المؤرخون وأصحاب السير أن ابن عمر رضي الله عنهما قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازيًا [٣].

ولقد كان رضي الله عنه من أشد الناس حرصًا على اتِّباع النبي ﷺ في سكناته وحركاته وكلماته، بل في كل شيء.

عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يُصَفِّر لحيته[٤].

وعن زيد بن أسلم: أن ابن عمر كان يُصَفِّر حتى يملأ ثيابه منها، فقيل له: تصبغ بالصفرة؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها[٥].

وعن مالك، عمن حدَّثه أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتمُّ به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٠٢).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٢٧٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٨).
(٤) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، أخرجه ابن سعد (٤/ ١٧٩).
(٥) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٧٩)، وسنده صحيح.

وعن نافع، قال: لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله عنه إذ اتبع رسول الله ﷺ لقلت: هذا مجنون[١].

وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[٣].

وروى عاصم بن محمد العمري، عن أبيه، قال: ما سمعت ابن عمر ذكر النبيع إلا بكى.

بل كان رضي الله عنه يحرص كل الحرص على أن لا يزيد كلمة أو ينقص كلمة من حديث رسول الله ﷺ، قال أبو جعفر الباقر: كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر[٥].

عباد الله: قال خليد العصري: يا إخوتاه!هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم عز وجل وسيروا إليه سيرًا جميلًا،لا مصعدًا ولا مميلا[٦].

ولله در القائل:

أروح وقد ختمت على فؤادي ∴ بحبك أن يحل به سواكا

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٣١٠).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣٤١).
(٣) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٦٢) ورجاله ثقات.
(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٧٦) نقلًا من السير للذهبي (٣/ ٢١٣).
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢١١).
(٦) استنشاق نسيم الأنس (ص ١٢٧) حلية الأولياء (٢/ ٢٣٢).

فلو أني استطعت غضضت طرفي ∴ فلم أنظر به حتى أراكا
أحبُّك لا ببعضي بل بكلِّي ∴ وإن لم يُبق حبك لي حراكا
وفي الأحباب مختصٌّ بوجدٍ ∴ وآخر يدَّعي معه اشتراكا
وكل يدعي حُبًّا لربي ∴ وربي لا يُقِرُّ لهم بذاكا
إذا اشتبكت دموع في خدودٍ ∴ تَبَيَّنَّ من بكى ممن تباكا
فأما من بكى فيذوب وجدًا ∴ وينطق بالهوى من قد تباكا

قال نعيم بن صبيح السعدي: هِمَمُ الأبرار متصلة بمحبة الرحمن، وقلوبهم تنظر إلى موضع العز من الآخرة بنور أبصارهم.

كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه: « اللهم اجعلني ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك، وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين»[1]

ولابن عمر رؤيا جعلت النبي ﷺ يشهد بصلاحه رضي الله عنه فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها عل النبي ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيا أَقُصَّها على النبي ﷺ ، وكنت غلامًا أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي:لن تراع - لا تخف- فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» قال سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا.

---

(١) استنشاق نسيم الأنس/ ابن رجب الحنبلي (ص ١٦) - المكتب الإسلامي.

وفي رواية قال ﷺ: «إن عبد الله رجل صالحٌ»[١] .

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، والعاقبة للمتقين والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين.

أما بعد:

ولعلنا إذا أردنا أن نرى صفحة من عبادة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلن نستطيع وصفها، ولكن ما علينا إلا أن نترك المجال لمن يخبرنا عن ذلك.

قيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه:

الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما[٢]. وقال نافع: كان ابن عمر لا يصوم في السفر، ولا يكاد يفطر في الحضر.

وعن نافع، أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا فاتته العشاء في جماعة، أحيى ليلته[٣]. وعن نافع، عن ابن عمر، أنه كان يحيى الليل صلاة، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة إلى أن أقول: نعم. فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح[٤].

قلت: وهذه الصفحة الناصعة نتعلم منها درسا عظيما ألا وهو: أن الإنسان لا بد أن يقدم بين يديه عملًا صالحًا ينجيه من عذاب الله.

فهذا هو ابن عمر رضي الله عنهما لم يعتمد على عمل أبيه، بل كان يجتهد ويسابق من حوله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٨) (٣٧٤٠) (٣٧٤١) ومسلم (٢٤٧٩).
(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٧٠)
(٣) أخرجه أبو نعيم (١/ ٣٠٣).
(٤) الحلية (١/ ٣٠٣).

إلى طاعة الله؛ لأنه يعلم أن الله - جل وعلا - قال في محكم آياته: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء١٣:١٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون١٠١:١٠٣].

ومع ذلك فنحن نجد أناسًا في زماننا هذا يتشدق الواحد منهم بأنه من نسل الحسين رضي الله عنه أو أنه من سلالة ولي من الأولياء، مع ذلك تجده لا يصلي ولا يتقرب إلى الله بأي عمل صالح، فضلا عن أنه يبارز الله بالذنوب والمعاصي، بل قد يكون ممن يحاربون شرعه وأولياءه!.

فإلى هؤلاء جميعًا أهدي قول النبي ﷺ لثمرة فؤاده وقرة عينه «فاطمة» عندما قال لها: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإنني لا أملك لكم من الله شيئا...»(١).

وأذكرهم قول الحق - جل جلاله - لنبيه ﷺ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقوله: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف:٩].

ومن ثم فواجب علينا جميعًا أن نُسرع الخُطا في طاعة الله، وأن نقدم بين أيدينا ما ينجينا من عذاب الله ويجلب لنا رحمة الله وجنته التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، كتاب الإيمان.

أما الحديث عن خوف ابن عمر م وبكاؤه من خشية الله - جل وعلا - فقد كان ابن عمر م إذا دخل صومعته، وقام بين يدي الله - جل وعلا - صار من كثرة البكاء كالعصفور المبلَّل بماء المطر، فلقد كان كأبيه عظيم الخشية من الله .. شديد المراقبة له في السر والعلن.

وها هي نبذة من خوفه وخشيته من الله - جل وعلا-.

عن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]. بكى حتى يغلبه البكاء[١].

وعن سمير الراحي، عن أبيه ، قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبردًا، فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله - عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا، شهوتهم الماء، وقد قال الله - عز وجل ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠].

وقال أبو الوازع لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، فغضب ، وقال: إني لأحسبك عراقيًا، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه؟! - يقصد نفسه[٢]

وقال رجل لابن عمر يومًا: يا خير الناس، أو يا ابن خير الناس. فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، أرجو الله وأخافه،والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه[٣].

وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة، فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

---

(١)قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: رواه ابن سعد (٤/ ١٦١).
(٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية. ١/ ٣٠٧.

وعن طاوس قال: ما رأيت رجلًا أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلًا أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد بن المسيب: لو كنت شاهدًا لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر[١].

ولابن عمر رضي الله عنه أمنية غالية، فعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب، وعروة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أني فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غُفِرَ له[٢].

اللهم ألحقنا بالصالحين ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة والمشركين وكافة أعداء الدين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة، ويُذل فيه أهل المعصية يا جواد يا كريم ، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٣٦).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٣٦).

obeikandl.com

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النارِ.

أيها الأحبة في الله: حديثنا في هذا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وسنبدأ حديثنا عن إنفاقه في سبيل الله، وحسبنا والله أن نعلم أنه رضي الله عنه كان إذا سمع أو قرأ آية من كتاب الله تدعوه إلى الإنفاق، فإنه كان يسارع في تنفيذها ولا يحجم ولا يتردد. مقدِّما في سبيل ذلك النفس والنفيس ابتغاء رضوان الله.

قال نافع: ما مات ابن عمر رضي الله عنهما حتى أعتق ألف إنسان أو زاد.

وكيف لا يفعل ذلك بعدما سمع النبي وهو يحث الأمة على هذا العمل الجليل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله له بكل عضو منها عضوا من النار حتى فرجه بفرجه»[١].

وعن أبي نجيح السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل مسلم أعتق رجلًا مسلما، فإن الله تعالى جاعلٌ وقاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار، وأيما امرأة اعتقت امرأة مسلمة فإن الله تعالى جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظمًا من عظام محررتها من النار يوم القيامة»[٢]

وعن محمد بن زيد أن ابن عمر كاتَبَ غلامًا له بأربعين ألفا، فخرج إلى الكوفة، فكان يعمل على حُمُر له، حتى أدى خمسة عشر ألفًا، فجاءه إنسان، فقال: أمجنون أنت؟ أنت هاهنا تعذب نفسك،وابن عمر يشتري الرقيق يمينًا وشمالًا ثم يعتقهم، ارجع إليه، فقل: عُجزْتُ . فجاء إليه بصحيفة، فقال: يا أبا عبد الرحمن قد عجزت وهذه صحيفتي فامحُهَا. فقال: لا، ولكن امحها أنت إن شئت. فمحاها، ففاضت عينا عبد الله، وقال: اذهب فأنت حرٌ. قال: أصلحك الله، أحسن إلى ابنيَّ. قال هما حُرَّان. قال: أصلحك الله، أحسن إلى أُمِّي وَلَدَيَّ. قال: هما حُرَّتَان[٣].

وعن عاصم بن محمد العمري: عن أبيه، قال: أعطى عبد الله بن جعفر ابن عمر عشرة آلاف، فدخل على صفية امرأته، فحدثها، قالت: فما تنتظر؟ قال: فهلا ما هو خير من ذلك، هو حرٌ لوجه الله: فكان يُخَيَّلُ اليَّ أنه كان ينوي قول الله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢][٤]

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرَّبه لربه عز وجل - قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شَمَّر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن،

(١) متفق عليه، صحيح الجامع (٦٠٥١).
(٢) رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢٦).
(٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢١٧).
(٤) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٦).

والله ما بهم إلَّا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا به[١].

وعن سالم قال: ما لعن ابن عمر إلا خادمًا واحدًا فأعتقه[٢].

وعن نافع قال: مرض ابن عمر رضي الله عنهما، فاشتهى عنبًا أول ما جاء، فأرسلت امرأته بدرهم، فاشترت به عنقودًا، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل، قال: السائل، السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، ثم بعثت بدرهم آخر، قال: فاتبعه السائل. فلما دخل، قال: السائل، السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه، وأرسلت صفية إلى السائل تقول: والله لئن عدت لا تصيب مني خيرًا، ثم أرسلت بدرهم آخر، فاشترت به[٣].

وعن نافع قال: أتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفا، فما قام حتى أعطاها[٤].

وعن نافع قال: بعث معاوية إلى ابن عمر بمائة ألف، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء[٥].

وعن نافع قال: إن كان ابن عمر لَيُفَرِّقُ في المجلس ثلاثين ألفا، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل مزعة لحم[٦]. ولقد كان الفقراء يعرفون ابن عمر بجوده وكرمه وعطفه وحنانه فكانوا يجلسون في طريقه كي يصحبهم معه إلى داره فيطعمهم ويعطيهم ما يريدون، فكانوا يحفون به كما تحف أفواج النحل بالزهور والرياحين لتأخذ منها رحيقها.

وعن حمزة بن عبد الله، قال: لو أن طعامًا كثيرًا كان عند أبي ما شبع منه بعد أن يجد

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٣٧).
(٢) قال الأرنؤوط: رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٧) وإسناده صحيح.
(٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه بنحوه ابن سعد (٤/ ١٥٨) وأبو نعيم (١/ ٢٩٧).
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٦).
(٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٦).
(٦) هو في الحلية (١/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤٧). ونسبه للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير برد سنان وهو ثقة.

له آكلًا، فعاده ابن مطيع ، فرآه قد نَحُلَ جسمه، فكلمه، فقال له: إنه ليأتي عليَّ ثمان سنين، ما أشبع فيها شبعة واحدة، أو قال: إلا شبعة. فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمء حمار. أي شيء يسير وخصَّ الحمار بذلك؛ لأنه أقل الدواب صبرًا عن الماء[١]

وعن هشام بن يحيى الغساني، عن أبيه، قال: جاء سائل إلى ابن عمر، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلى من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ ، إنما يتقبل الله من المتقين[٢].

بل يحدثنا أيوب بن وائل الراسي عن واحدة من مكرماته، فيخبرنا أن ابن عمر جاءه يومًا أربعة آلاف درهم وقطيفة.. وفي اليوم التالي، رآه أيوب بن وائل في السوق يشتري لراحلته علفًا نسيئة - أي دينًا.. فذهب ابن وائل إلى أهل بيته وسألهم: أليس قد أتى لأبي عبد الرحمن - يعني ابن عمر رضي الله عنهما - بالأمس أربعة آلاف وقطيفة ؟ .

قالوا: بلى.

قال: فإني رأيته اليوم بالسوق يشتري علفًا لراحلته ولا يجد معه ثمنه..

قالوا: إنه لم يبت بالأمس حتى فرقها جميعًا، ثم أخذ القطيفة وألقاها على ظهره، وخرج.. ثم عاد وليست معه، فسألناه عنها، فقال: إنه وهبها لفقير.! فخرج ابن وائل يضرب كفًّا بكف، حتى أتى السوق فتوقل مكانًا عاليا، وصاح في الناس: يا معشر التجار.. ما تصنعون بالدنيا، وهذا ابن عمر رضي الله عنهما تأتيه آلاف الدراهم فيوزعها، ثم يصبح فيستدين علفًا لراحلته؟!.

أما زهد ابن عمر وورعه فلعل أبلغ كلمة تصف زهده رضي الله عنه : هي تلكم الكلمة التي قالها جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث قال: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها

---

(١) أخرجه أبو نعيم (١/ ٢٩٨). قال الأرنؤوط: وسنده صحيح.
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٤٠).

أو مالت به إلا عبد الله بن عمر[١].

وعن ابن سيرين،أن رجلًا قال لابن عمر: أعمل لك جوارش؟قال: وما هو؟ قال: شيء إذا كظك الطعام، فأصبت منه سهَّل، فقال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجدًا، ولكني عهدت قومًا يشبعون مرة ويجوعون مرة[٢]، وقال ابن مسعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر[٣].

وذات مرة قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما غرست غرسا منذ توفي رسول الله ﷺ[٤].

ولابن عمر رضي الله عنهما كلمات من ذهب تملأ القلب نورًا، قال الليث بن سعد وغيره: كتب رجلٌ الي ابن عمر أن اكتب إلى بالعلم كله. فكتب إليه. إن العلم كثير ، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم لازمًا لأمر جماعتهم فافعل[٥].

وعن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر إذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كل خير تقسمه الغداة، ونورًا تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزق تبسطه، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها، وعن مجاهد، عن ابن عمر ، قال: لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً.

وعن عمر بن ميمون، عن أبيه قال: قيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري. قال: رحمه الله، فقال: ترك مائة ألف: قال: لكن هي لم تتركه[٦].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٤٨)والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٦٠) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، فهو موقوف صحيح.
(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات:أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٠) من طريق الإمام أحمد.
(٣) الحلية :(١/ ٢٦٤).
(٤) رواه ابن سعد (٤/ ١٧٠) نقلًا من السير للذهبي (٣/ ٢١٢).
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢٢٢).
(٦) صفة الصفوة (١/ ٢٤١).

الحمد لله ولي الصالحين. ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ومن مناقب ابن عمر م أنه كان مُحبًّا للناس وبخاصة أهل التقوى.

عن حصين، قال ابن عمر رضي الله عنهما: إني لأخرجُ ومالي حاجة إلا أن أسلم على الناس، ويسلمون عليَّ [١].

وعن أبي عمرو الندبي، قال: خرجت مع ابن عمر، فما لقي صغيرًا ولا كبيرًا إلا سلم عليه[٢].

بل كان أحيانا يمزح مع الناس يريد أن يختبر إيمانهم ومراقبتهم لله حتى إذا وجد بهم خللًا بذل لهم النصائح الغالية، وإن كانوا في حاجة إلى المال أعانهم وساعدهم.

عن عبد الله بن دينار، قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرَّسنا، فانحدر علينا راع من جبل، فقال له ابن عمر: أراع؟ قال: نعم، قال: بعني شاة من الغنم. قال: إني مملوك، قال: قل لسيِّدك: أكلها الذئب - يريد أن يختبره - قال: فأين الله عز وجل؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعد ، فأعتقه!.

وفي رواية ابن أبي رواد، عن نافع، فأعتقه، واشترى له الغنم[٣].

ولقد كان ابن عمر زاهدًا في كل شيء حتى الإمارة، فقد عرضوا عليه الأمارة أكثر من مرة، وهو يرفضها مع أنه جديرٌ بها، ولكنه كان عازفًا عنها.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٥٥) نقلًا من السير للذهبي (٣/ ٢٢١)

(٢) السير للذهبي (٣/ ٢٢١).

(٣) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤٧). ونسبه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحارث الحاطبي وهو ثقة.

فعن عاصم، أن مروان قال لابن عمر - يعني بعد موت يزيد: هلُمَّ يدك نبايعك، فإنك سيد العرب وابن سيدها. قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: نضربهم حتى يبايعوا. قال: والله ما أحبُّ أنها دانَت لي سبعين سنة، وأنه قتلَ في سيفي رجل واحد.

قال: يقول مروان:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها ∴ والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

أبو ليلى: معاوية بن يزيد، بايع له أبوه الناس، فعاش أيامًا[1].

بل لقد اعتزل الفتنة التي حدثت بين عليّ ومعاوية م فلم يقاتل مع هذا ولا ذاك.

وكان رضي الله عنه: يسلِّم على الخشبة والخوارج، وهم يقتتلون، ويقول: من قال: حي على الصلاة أجبته ، ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله فلا[2].

بل كان رضي الله عنه: حريصًا على جمع كلمة المسلمين، وكان يخشى على المسلمين من الفرقة والشتات والتنازع، فعن ابن عمر م قال: دخلت على حفصة وذوائبها تقطر فقلت: قد كان الناس ما ترين، ولم يجعل لي من الأمر شيء. قالت: فالحِقْ بهم، فإنهم ينتظرونك، وإني أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم يرعه حتى ذهب . قال: فلما بمرق الحكمان خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر، فليطلع الي قرنه، فنحن أحق بذلك منه ومن أبيه .. يُعَرِّض بابن عمر.

قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته فداك أبي وأمي؟ فقال ابن عمر: حللت حبوتي، فهممت أن أقول: أحق بذلك منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تُفرِّق الجمع، ويسفك فيها الدم، فذكرت ما أعد الله في الجنان[3]. قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: كاد أن تنعقد البيعة له يومئذ، مع وجود مثل

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٦٩ ، ١٧٠).

(٢) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: رواه ابن سعد (٤/ ١٦٩، ١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٣٠٩، ٣١١) في الأصل، «ونوساتها تنظف» ، أي ذوائبها تقطر.

الإمام عليّ وسعد بن أبي وقاص، ولو بويع، لما اختلف عليه اثنان، ولكن الله حماه وخار له - أي اختار له -[١] فرضي الله عن ابن عمر وأبيه، وأين مثل ابن عمر في دينه، وورعه وعلمه، وتألهه وخوفه، من رجل تعرض عليه الخلافة، فيأباها، والقضاء من مثل «عثمان» فيرده، ونيابة الشام (لعليّ) فيهرب منه. فالله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب[٢].

أما عن رحيل ابن عمر عن هذه الدار الفانية إلى دار الخلود فعن ابن عمر، أنه قام إلى الحجاج وهو يخطب، فقال: يا عدو الله!! استحل حرم الله، وخرب بيت الله.

فقال الحجاج: يا شيخا قد خرف. فلما صدر الناس[٣] أمر الحجاج ببعض مسودته، فأخذ حربة مسمومة وضرب بها رجل ابن عمر، فمرض منها أيامًا ومات بمكة ودفن بها، ودخل عليه الحجاج عائدا، فسلم، فلم يرد عليه، وكلمه فلم يجبه[٤].

وعن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه قال: دخل الحجاج على ابن عمر، وأنا عنده، فقال: كيف هو؟ فقال (أي ابن عمر): صالح، قال: من أصابك؟ قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في يوم لا يحل فيه حمله، يعني الحَجَّاج[٥].

وعن سعيد بن جبير، قال: لما احتُضر ابن عمر، قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلَّا على ثلاث، ظمأ الهواجر، ومكابَدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج[٦].

وبعد تلك الحياة الطويلة التي ملأها هذا العابد الزاهد بطاعة الله والبذل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٢٢٧).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢٣٥).
(٣) صدر الناس أي انصرفوا.
(٤) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: السير للذهبي (٣/ ٢٣٠).
(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٩).
(٦) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٨٥).

والتضحية ابتغاء وجه الله تعالى بعد تلك الحياة الكريمة رحل الكريم ابن الكريم عن دنيا الناس ليلقى الأحبة في جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، فرضي الله عن ابن عمر وعن أبيه وعن سائر الصحابة أجمعين .

اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين ، اللهم اجمعنا بنبيك محمد ﷺ وأوردنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدًا، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل الطاعة ويُذلُّ فيه أهل المعصية يا جواد يا كريم. اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله يا سميع الدعاء وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدْعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه إنه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ.

قيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وخرج مع قومه إلى بدر، فأُسِر يومئذ، فادعى أنه مسلم. فالله أعلم.

وليس هو في عداد الطلقاء، فإنه كان قد قدم إلى النبي ﷺ قبل الفتح؛ ألا تراه أجار أبا سفيان بن حرب.

كان من أطول الرجال وأحسنهم صورة وأبهاهم وأجهرهم صوتًا مع الحلم

والوقار والسؤدد.

فعن أسلم مولى عمر أن عمر دنا من الشام تنحى ومعه غلامه، فعمد إلى مركب غلامه فركبه، وعليه فروٌ مقلوب، وحول غلامه على رحل نفسه.

وإن العباس لبين يديه على [فرس] عتيق، وكان رجلا جميلًا، فجعل البطارقة يسلِّمون عليه، فيشير: لست به، وإنه ذاك [1].

أي ظن البطارقة أن العباس هو أمير المؤمنين من جماله وطوله ومركبه وملبسه.

وكان العباس يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب.

وللعباس ﷺ موقف خالد يوم بيعة العقبة الثانية، فعن كعب بن مالك ﷺ في قصة العقبة الثانية قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى تلك الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القَطا مستخفين (طائر معروف) حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا ومنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي» إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - قال: وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها: إن محمدًا منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل ما رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلَّا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عِزٍّ ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب

(١) السير للإمام الذهبي (٢/ ٧٨: ٨٠) بتصرف.

في الإسلام، قال: أبا يعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال: فأخذ البراء ابن معرور بيده، ثم قال: نعم. والذي بعثك بالحق لنمنعنَّك ما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر. قال: فاعترض[1] القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله: إن بيننا وبين الرجال حبالًا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله - يعني نصرك الله - أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: **بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**»[2].

أما موقف العباس رضي الله عنه يوم بدر، فقد قال بعض المؤرخين: إن العباس رضي الله عنه كان قد أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وقيل: إنه أسلم قبل الفتح. وكانت قريش تجد في قلبها شيئا من ناحية العباس (كانت تشك في إسلامه) ولكنا لم تجد ما يؤيد ظنها، وبخاصة أنه كان في ظاهر أمره موافقًا لهم، فلما كانت غزوة بدر أرادت قريش أن تقطع الشك باليقين، فجعلته يخرج معها في تلك الغزوة.

ولذلك نهى النبي ﷺ أصحابه عن قتل العباس رضي الله عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**إني قد عرفت رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ،ومن لقي أبا البحترى بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهًا، فقال أبو حذيفة ابن عتبة: أنقتل آباءنا، وأبنائنا، وإ ءاننا، وعشيرتنا ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لألحمنَّه أو لألجمنَّه - بالسيف، فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص، أيُضْرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق.**

---

(١) الأزر: كناية عن المرأة أو عن النفس.. أي لنمنعك كما نمنع نساءنا وأنفسنا.

(٢) سيرة ابن هشام ((٣/ ١٨٩/ مع الروض الأنف.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا [١].

ولقد وقع العباس ﷺ في الأسر يوم بدر؛ إذ أنه لم يقاتل في تلك الغزوة فإنه خرج مُستكرها ونهى النبي ﷺ عن قتله.. ، فعن أبي اليسر أنه قال: نظرت إلى العباس يوم بدر، وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان، فقلت: جزاك الله من ذي رحم شرًا! تقاتل ابن أخيك مع عدوه؟ .

قال: ما فعل، أقُتِل؟ قلت: الله أعز له وأنصر من ذلك. قال: ما تريد إليّ؟ قلت: الأسر، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. قال: ليست بأول صلته. فأسرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ [٢].

وعن البراء، أو غيره، قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس، قد أسره، فقال: ليس هذا أسرني، فقال النبي ﷺ: «لقد آزرك الله بملك كريم» [٣]

ولقد حزن النبي ﷺ على عمه حين أسر في غزوة بدر، فعن ابن العباس، قال: أمسى رسول الله ﷺ والأسارى في الوثاق، نبات ساهرًا أول الليل، فقيل: يا رسول الله، مالك لا تنام؟، قال: سمعت أنين عمي في وثاقه. فأطلقوه، فسكت ، فنام رسول الله ﷺ [٤]

وعن مجاهد قال: أَسر العباس رجلٌ، ووعدوه أن يقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أنم الليلة من أجل العباس، زعمت الأنصار أنهم قاتلوه» فقال عمر: آتيهم يا رسول الله؟ فأتى الأنصار فقال: أرسلوا العباس. قالوا: إن كان لرسول الله ﷺ فخذه [٥].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٨، ٤٥٩)، وابن سعد في الطبقات (/ ٨٠٧).
(٢) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٢).
(٣) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٢) ورجاله ثقات.
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٢ - ١٣).
(٥) السير للإمام الذهبي (٢/ ٨٣).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلَّا على الظالمين،والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

أما موقف العباس رضي الله عنه يوم حنين، فقد قال رضي الله عنه شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له (فروة بن نفاثة الجذامي)، فلما التقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار، قال العباس، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ان لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس ناد أصحاب الشجرة**».

أصحاب الشجرة: أي أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية وكانوا أربعة عشر مئة بايعوا على الموت، وعلم الله في قلوبهم من الإيمان والصدق فرضي عنهم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**» فقال عباس - وكان رجلًا صيتا - [1] فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب الشجرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا : يا لبيك .. يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار. قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج ، فقالوا:

---

(١) أي صوته مرتفع.

يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس». قال:ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد». قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا[1].

وكانت غزوة حنين مع قبيلة هوازن ومن معها، وكانت بعد فتح مكة، وكانوا رماة، وكان بالمسلمين كثرة، فقال بعضهم: لن نُهزم اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة وقد خرج ناس منهم حُسَّرٌ، وكانت هوازن رماة فرموهم، برشق من نبل، فولى الصحابة مدبرين، فأمر النبي ﷺ العباس أن ينادي على أصحاب الشجرة. فقالوا: يا لبيك يا لبيك ثم نادى على الأنصار ثم على بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، وهم يسرعون تلبية نداء منادي رسول الله ﷺ، فساق الله -عز وجل- لهم النصر، وفازوا بغنائم القوم، وانهزمت هوازن وفرَّ بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وإلى أوطاس، فرضي الله عن الصحابة الكرام، ونفعنا بهذه المواقف الإيمانية في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ[2].

أيها الأحبة في الله: من مناقب العباس رضي الله عنه أن الصحابة كانوا يستسقون به، فعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيُسْقَون»[3].

قال الحافظ في «الفتح»: وقد بيَّن الزبير بن بكار في «الأنساب» صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر، قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد

---

(١) أخرجه مسلم (١٢/ ١١٣ - ١١٧) الجهاد والسير.
(٢) مواقف إيمانية لأحمد فريد (ص:٥٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٠).

توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس، وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة.

وللعباس ﷺ مكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ وإليكم باقة من الأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدر عمه العباس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رجلًا من الأنصار وقع في أب للعباس كان في الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه، فقالوا: والله لنلطمنّه [كما لطمه]، فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فصعد المنبر، فقال: «**أيها الناس، أي أهل الأرض أكرم على الله؟**» قالوا: أنت. قال: «**فإن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا**، فجاء القوم فقالوا: نعوذ بالله من غضبك يا رسول الله[(١)].

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ جعل على العباس وولده كساء، ثم قال: «**اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنبًا، اللهم أخلفه في ولده**»[(٢)].

وعن عبد المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس ﷺ على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله ﷺ، ودرَّ عرق بين عينيه ثم قال: «**والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي**»[(٣)].

وعن سعيد بن المسيب، عن سعد، قال: كنا مع النبي ﷺ في نقيع الخيل، فأقبل العباس، فقال النبي ﷺ: «**هذا العباس عمُّ نبيكم، أجود قريش كفا، وأوصلها**»[(٤)]

وعن المطلب بن ربيعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال رجال يؤذونني في**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٠) بسند حسن.
(٢) رواه أبو يعلى في مسنده. وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، السير (٢/ ٨٩).
(٣) رواه أحمد (١/ ٢٠٧) والترمذي (٣٧٥٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

العباس، وإن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذاني»[١]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ ، فقال سول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا قد احتبس أدراعه واعتاده في سبيل الله»[٢].

«وأما العباس فهي علي ومثلها معها» ثم قال: يا عمر: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»[٣].

وقد رزق الله العباس بالذرية الطيبة المباركة، وعلى رأسهم حبر الأمة عبد الله بن عباس الذي ملأ الدنيا علما.

وحان وقت الرحيل.ولابد لكل بداية من نهاية.

فها هو العملاق يخرج من هذه الدنيا راغبًا فيما عند الله فأعتق سبعين مملوكًا عند موته.

ولما مات ﷺ قالت عائشة بنت سعد: جاءنا رسول عثمان، ونحن بقصرنا على عشرة أميال من المدينة، أن العباس قد توفي، فنزل أبي وسعيد بن زيد، ونزل أبو هريرة من السمرة، فجاءنا أبي بعد يوم، فقال: ما قدرنا أن ندنو من سريره من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨) في ا لمناقب وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قال النووي رحمه الله (٣/ ١٠) قال أهل اللغة: الأعتاد آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها، والواحد عتاد وجمعه أعتدة، ومعنى الحديث أنهم طلبوا من خالد زكاة أعتاده ظنًا منهم أنها للتجارة وأن الزكاة فيها واجبة، فقال لهم: إنكم تظلمونه لأنه حبسها ووقفها في سبيل الله قبل الحول عليها، فلا زكاة فيها، ويحتمل أن يكون المراد لو وجبت عليه زكاة لأعطاها ولم يشح بها؛ لأنه قد وقف أمواله لله تعالى متبرعًا، فكيف يشح بواجب عليه.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٨) ومسلم (٩٨٣) الزكاة.

كثرة الناس، غلبنا عليه، وكنت أحب حمله[1]. فرضي الله عن العباس وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجًا ومن كل هم مخرجًا، ومن كل بلاء عافية. اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم، فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينا في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين ويسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه ومكنه في الأرض يا سميع الدعاء، اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ٣٢).

obeikandl.com

عمرو بن العاص رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل - عمرو بن العاص رضي الله عنه في الخطبة الأولى.

إن من سعادة الإنسان أن يصبح رأسًا في الخير يقتدي به الناس.. ومن سعادته أن يصبح رأسًا في الدعوة إلى الله وإيصال الخير للناس في كل زمان ومكان.

وضيفنا على تلك الصفحات كان رأسًا في إيصال الخير إلى الناس والدعوة إلى الله على بصيرة.

ولذا فإنه ما من مُسلم على أرض مصر يؤمن بالله واليوم الآخر إلا ويأتي يوم

القيامة في ميزان حسنات ضيفنا المبارك.

فيا تُرى من هو هذا الضيف المبارك؟ .

إنه عمرو بن العاص رضي الله عنه داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء والحزم.

الذي هاجر إلى رسول الله ﷺ مُسلِمًا في أوائل سنة ثمان، مرافقا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم،وأمَّر عمرًا على بعض الجيش، وجهزه للغزو[1].

وسيظل الذين يرون في الإسلام دينا قيما مجيدًا... ويرون في رسوله رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، ورسول صدق عظيم، دعا إلى الله على بصيرة.

سيظل الذين يحملون هذا الإيمان مشحوذي الولاء للرجل الذي جعلته الأقدار سببًا - وأي سبب - لإهداء الإسلام إلى مصر، وإهداء مصر إلى الإسلام . فنعمت الهدية، ونعم مهديها.

ذلكم هو: عمرو بن العاص رضي الله عنه[2] كان أبوه العاص بن وائل أحد حكام العرب في الجاهلية وسيد من ساداتهم المرموقين.

وأما أمه فهي النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب في الجاهلية، فبيعت بسوق عكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان ثم وهبها للعاص بن وائل فولدت له.

أما رحلة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الحبشة خلف المهاجرين قبل إسلامه فإنه لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، فقال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظْلَمُ عنده أحد، وهي أرض**

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٥).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص٧٦٩).

صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»[١].

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته.

عن أم سلمة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار النجاشي أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فحملوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا[٢] من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يُسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قَدِمَا على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، فلم يبق من بطارقته بطريق، إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى على بلد الملك منا غلمان، سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا انتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلما الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى

---

(١) ذكره ابن إسحاق كما ترى من غير إسناد وابن كثير في البداية (٣/ ٦٦) من بلاغات ابن إسحاق.

(٢) الأدم: الجلود وهو اسم جمع.

بهم عينًا[١]. وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم أنهما قدما هداياهما إلى النجاشي، فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى [٢]، إلى بلدك منَّا غلمان سُفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إيهما، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله، إذًا لا أسلمهم إليهما ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم.

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا وقد دعا النجاشيَّ أساقفته[٣]، فنشروا مصاحفهم حوله. سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ .

---

(١) أي أبصر بهم.
(٢) لجأ وأتى لبلا.
(٣) هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

قال: فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب - رضوان الله عليه-، فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منَّا الضعيف، فكنا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، أي جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه عند مخاطبته النجاشي. قال: فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرَّمْنا ما حَرَّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا على ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظْلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟.

قالت: قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ.

قالت: فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١].

قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة[١]، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا عنهم بما استأصل به خضراءهم[٢].

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا.

فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟:

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنًا في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ يقول: هو عبد

---

(١) الثقب الذي يوضع فيه الفتيل، والمصباح هو الكرة غير النافذة.

(٢) استأصل به خضراءهم: أي جماعتهم وقوتهم ومعظمهم وقيل: شجرتهم التي تفرعوا منها.

الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت [١] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيوم بأرضي [٢]، من سبَّكم غرم، ثم قال: من سبَّكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب، وأني آذيت رجلًا منكم.

قال ابن هشام: ويقال دبرًا من ذهب، ويقال فأنتم شيوم، والدبر «بلسان الحبشة»: الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار [٣].

أما قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه، فعنه رضي الله عنه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالًا من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلموا والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا مُنكرًا وإني قد رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وما ذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نُهديه له، وكان أحب ما يهدى من أرضنا الأدم [٤]، فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج

---

(١) تناخرت: أي تكلمت وكأنه كلام من غضب ونفور.

(٢) والشيوم: الآمنون.

(٣) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٥: ٢٧٨) بتصرف.

(٤) الأدم: الجلد.

من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجرت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحبًا بصديقي، أهديت اليَّ من بلادك شيئا؟ قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب به أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقًا منه - خوفًا منه - ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر»[1] الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرنَّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتُبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتم أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2] وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي،ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها**»، قال: فبايعته ثم انصرفت[3].

---

(١) الناموس الأكبر : المقصود به جبريل عليه السلام كما يسمونه أهل الكتاب.

(٢) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٣)أخرجه أحمد في المسند(٤/ ١٩٨، ١٩٩)وحسنه الألباني في الإرواء(٥/ ١٢٢، ١٢٣).

وفي رواية قال: فو الله إني لأشدُّ الناس حياء من رسول الله ﷺ ، فما ملأت عيني منه ولا راجعته[١].

عباد الله: ولقد كان النبي ﷺ يعرف طاقات أصحابه رضي الله عنهم ويوظفها توظيفًا لا مثيل له.

فأحس النبي ﷺ أن عمرو بن العاص رضي الله عنه يتمتع بقدرة عالية من الذكاء والدهاء ورجاحة العقل، فأمَّره على جيش المسلمين في غزوة «ذات السلاسل».

اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة والمشركين أعداءك أعداء الدين، اللهم من كادنا فكده، اللهم من ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه يا جواد يا كريم وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٠٤) وله شاهد في صحيح مسلم (١٢١).

obeikandl.com

عمرو بن العاص رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه .

مما يدل على فقهه رضي الله عنه موقفه في غزوة ذات السلاسل، فعن أبي قيس مولى عمرو ابن العاص، أن عمرًا كان على سرية ، فأصابهم برد شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت البارحة، ولكني والله ما رأيت بردًا مثل هذا ، فغسل مغابنه، وتوضأ للصلاة ثم صلى بهم. فلما قدم على رسول الله ﷺ سأل رسول الله ﷺ أصحابه: «**كيف وجدتم عمرًا وصحابته**»؟ ، فأثنوا عليه خيرًا، وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو، فسأله، فأخبره بذلك وبالذي

لقي من البرد، وقال: إن الله قال ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ولو اغتسلت مت. فضحك رسول الله ﷺ [١].

وفي رواية قال: رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت . ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا»[٢].

وعن قيس قال: بعث رسول الله ﷺ عمرًا في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو، لا يوقِدنَّ أحد نارًا. فلما قدم شكوه، قال: يا نبيَّ الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ [٣]

وظل عمرو رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ الذي لم يستطع أن يملأ عينيه منه توقيرًا له وتعظيما.

ولقد أحبَّه النبي ﷺ حُبًّا جَمًّا مَلَكَ عليه لُبَّهُ وفؤاده حتى وضع باقة عطرة من المناقب على صدر عمرو رضي الله عنه.

ومن مناقبه وفضائله رضي الله عنه :قال ﷺ: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**»[٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**»[٥].

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح والمغابن: الأرفاع وهي بواطن الأفخاذ وأخرجه أبو داود (٣٣٥).

(٢) رواه الحاكم (١/ ١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري.

(٣) ابن عساكر نقلا(١٣/ ٢٥٤) عن السير للذهبي (٣/ ٦٦)

(٤) رواه أحمد، والترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧١).

(٥) رواه أحمد، وابن سعد، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥).

وقال ﷺ: «**عمرو بن العاص من صالحي قريش**»[١].

وعن عمرو بن العاص قال: كان فَزَعٌ بالمدينة، فأتيت سالمًا مولى أبي حذيفة، وهو محتب بحمائل سيفه، فأخذت سيفًا، فأحتبيت بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، ألا كان مفزعُكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان المؤمنان**»؟[٢].

وعن الشعبي قال: دهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو، والمغيرة، وزيادُ ، فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات،والمغيرة للمبادهة، وأما زياد للصغير والكبير.

وقال أبو عمر بن عبد البر: كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، مذكورًا بذلك فيهم وكان شاعرًا حسن الشعر، حفظ عنه منه الكثير في مشاهد شتى[٣].

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -: وكان من أجل رجال قريش رأيًا، ودهاءً، وحزمًا، وكفاءةً، وبصرًا بالحروب، ومن أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين والله يغفر له ويعفو عنه، ولولا حبه للدنيا ودخوله في أمور، لصلح للخلافة، فإن له سابقة ليست لمعاوية. وقد تأمَّر على مثل أبي بكر وعمر، لبصره بالأمور ودهائه[٤].

عباد الله: وها هي صفحة من إخلاصه رضي الله عنه قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: «**خُذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني**» فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في البصر، وصوبه، فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبة صالحة من المال**» قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام ، ولأن أكون مع رسول الله ﷺ . قال

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٥).
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: رواه أحمد(٤/ ٢٠٣).
(٣) الاستيعاب (ص ١١٨٨) لابن عبد البر.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٩).

يا عمرو: «نِعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح»[١].

أما الحديث عن عبادة عمرو بن العاص رضي الله عنه فعن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، أن عمرًا كان يسرد الصوم، وقلَّما كان يصيب من العشاء أول الليل. وسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فصلًا بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحرِ»[٢].

أما زهده وأخلاقه رضي الله عنه فقد روى موسى بن عَلَيّ، عن أبيه، سمع عمرًا يقول: لا أملُّ ثوبي ما وسعني، ولا أملُّ زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا أمل دابتي ما حملتني، إن الملال من سيّئ الأخلاق[٣].

ولما توفي رسول الله ﷺ كان عمرو رضي الله عنه على عمان فأتاه كتاب أبي بكر بوفاة رسول الله ﷺ[٤].

وتأثر عمرو رضي الله عنه بوفاة النبي ﷺ تأثرًا كبيرًا.

ولما آلت الخلافة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أبلى عمرو بن العاص في حروب الردة أعظم البلاء.

وأما جهاد عمرو بن العاص رضي الله عنه في سبيل الله تعالى. فلما لبى الصديق نداء ربه، وأسلم الزمام إلى يد الفاروق - خير يد تلقى إليها الأزمة استعان الفاروق بقدرات عمرو بن العاص وخبراته، ووضعها في خدمة الإسلام والمسلمين.. فتح الله على يديه سواحل فلسطين. بلدًا بعد بلد.. وهزم جيوش الروم جيشا بعد جيش، ثم اتجه إلى حصار بيت المقدس. وقد شد عمرو الحصار على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين حتى زرع اليأس في نفس أرطبون قائد جيش الروم.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢) وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه مسلم (١٠٩٦).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٧).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٦٩).

وحمله على التخلي عن المدينة المقدسة، والذهاب بالفرار فاستسلمت القدس للمسلمين

عند ذلك رغب بطريقها أن يتم التسليم بحضور الخليفة نفسه، فكتب عمرو ابن العاص للفاروق - رضوان الله عليه- يستدعيه لتسلم : بيت المقدس فحضر ووقّع وثيقة التسليم.

وآلت القدس إلى المسلمين في السنة الخامسة عشرة للهجرة على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه .

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

ما زال حديثنا حول جهاد عمرو بن العاص رضي الله عنه في سبيل الله تعالى.

وكان الفاروق إذا ذكر أمامه حصار بيت المقدس وما أبدى فيه عمرو بن العاص من براعة يقول: لقد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب.

ثم توّج عمرو بن العاص انتصاراته الكبرى بفتح مصر وضم هذه الدرة الثمينة إلى عقد الإسلام، وبذلك فتح أمام جيوش المسلمين أبواب إفريقية، وبلاد المغرب ثم أسبانيا بعد ذلك.

وقد تم لهم هذا كله في نحو نصف قرن من الزمان[١].

قال الإمام الذهبي - رحمه الله-: وشهد عمرو يوم اليرموك، وأبلى يومئذ بلاءً حسنا، وقيل: بعثه أبو عبيدة، فصالح أهل حلب وأنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عنوة[٢].

وقال خليفة: ولَّى عمر عمرًا فلسطين والأردن، ثم كتب إليه عمر، فسار إلى مصر، وافتتحها، وبعث عمر الزبير مددًا له[٣].

وقال ابن لهيعة: فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سنة إحدى وعشرين، ثم انتقضوا في سنة خمس وعشرين وقال الفسوي: كان فتح ليون سنة عشرين، وأميرها عمرو. ليون: قرية بمصر[٤].

وقال خليفة: افتتح عمرو طرابلس الغرب سنة أربع وعشرين. وقيل: سنة ثلاث وعشرين[٥].

أما دهاؤه وذكاؤه رضي الله عنه في موقعة أجنادين. فقد سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه «عبد الله بن عمرو وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك ابن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنه واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعًا من الروم عليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدها غورًا، وأنكأها فعلًا، وقد كان وضع بالرملة جندًا عظيما وبإيلياء جندًا عظيما، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاء كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج. وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا. وأبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو

(١) صور من حياة الصحابة (ص٥٧٨ - ٥٧٩).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٧٠).
(٣) تاريخ خليفة: (٢ ـ ١، ١٥٥).
(٤) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٠٤) ابن عساكر: (١٣/ ٢٥٨).
(٥) تاريخ خليفة: (١٥٢).

كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء. وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله، فدعا حرسيًا فسارَّه فأمر بقتله فقال: اذهب فقم في مكان كذا وكذا، فإذا مرَّ بك فاقتله، ففطن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال للأرطبون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك، وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت، فقال الأرطبون نعم! فاذهب فأتني بهم - ظنًا منه أنه بذلك سيظفر بقتلهم جميعًا بدلًا من قتل واحد - ودعا رجلًا فسارَّه - كلَّمهُ سرًّا - فقال: اذهب إلى فلان فردَّه وقام عمرو فذهب [illegible] الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب، وبلغت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: لله در عمرو[1].

وفي الصباح عاد عمرو على رأس جيشه إلى الحصن ممتطيًا صهوة فرسه التي راحت مقهقهة في صهيلٍ شامتٍ وساخرٍ، وكأنها كانت تعرف من دهاء صاحبها الشيء الكثير!!!.

عباد الله: وبعد حياة مليئة بالكفاح والبذل والتضحية نام عمرو بن العاص رضي الله عنه على فراش الموت ليلقى ربه - عز وجل - وليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه.

عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص: عجبا لمن نزل به الموت وعقلهُ معه، كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت، ذكره ابنه بقوله، وقال: صفه. قال: يا بني! الموت أجل من أن يوصف، ولكني سأصف لك؛ أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأنَّ في جوفي الشوك، وأجدني كأنّ نفسي يخرج من إبرة[2].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٥ - ٥٦) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٦٠).

وعن عبد الله بن عمرو؛ أن أباه قال حين احتُضر: اللهم «إن» أمرت بأمور، ونهيت عن أمور، تركنا كثيرًا مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت. ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلل يقول: لا إله إلا الله - حتى فاض رضي الله عنه - [١].

وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا، فقال ابنه عبد الله: ما هذا الجزع، وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك! قال: أي بني! قد كان ذلك، وسأخبرك، إي والله ما أردي أحبًّا كان أم تألفا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما، ابن سمية عمار وابن أم عبد عبد الله بن مسعود فلما جد به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجيراه حتى مات[٢].

وعن عبد الله بن عمرو، أن أباه أوصاه، إذا متُّ، فاغسلني غسلة بالماء، ثم جففني في ثوب، ثم اغسلني الثانية بماء قراح، ثم جففني، ثم اغسلني الثالثة بماء فيه كافور، ثم جففني وألبسني الثياب وزُرَّ علي، فإني مخاصم. ثم إذا أنت حملتني على السرير، فامشي بي مشيًا بين المشيتين، وكان خلف الجنازة، فإن مقدمها للملائكة، وخلفها لبني آدم، فإذا أنت وضعتني في القبر، فسن عليَّ التراب سنًّا.

ثم قال: اللهم إنك أمرتنا فأضعنا، ونهيتنا فركبنا، فلا بريء، فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلا أنت، وما زال يقولها حتى مات[٣].

وهكذا رحل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن الدنيا وترك خلفه خيرًا كثيرًا.. فما من مسلم يعيش على أرض مصر إلا وكان إسلامه في ميزان حسناته يوم القيامة.. ويا لها من كرامة لا توازيها الدنيا بمتاعها الزائل. فرضي الله عن «عمرو» وعن سائر الصحابة أجمعين.

---

(١) ابن عساكر (٠١٣/ ٢٦٨) نقلا من السير للذهبي (٠٣/ ٧٥).
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: وهو في المسند (١/ ١٩٩، ٢٠٠).
(٣) قال الأرنؤوط: إسناده: الطبقات لابن سعد (٤/ ٢٦٠).

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد يُعز فيه أهل الطاعة ويُذل فيه أهل المعصية، اللهم شفع فينا نبيك محمد ﷺ وأوردنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربه ماء لا نظمأ بعدها أبدًا، اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، اللهم وحد صفوف المسلمين واجمع كلمتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين ، وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فلقد كان مثالًا عظيمًا للقوة في العبادة، وكثرة الاجتهاد في الطاعة.

فهو لا يمل أبدًا من الصيام أو القيام أو تلاوة القرآن. لم تستطع الدنيا أن تنال من قلبه شيئا، فلقد وهب عمره كله للعبادة واستشعر حلاوة الإيمان، فلم تعد الأوقات والساعات تكفي لكثرة عبادته وقراءته وصيامه وقيامه.

فإذا نادى منادي الجهاد وجدته يفي مقدمة الصفوف مقاتلًا شجاعًا يبحث عن الشهادة يتمناها في كل يوم، بل في كل لحظة من عمره.

فإذا وضعت الحرب أوزارها تراه مرة أخرى عابدًا ذاكرًا لله في كل وقت وحين.

إنه الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه.

وقد أسلم قبل أبيه فيما بلغنا، ويقال: كان اسمه العاص، فلمَّا أسلم غيره النبي ﷺ بعبد الله[١]. وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علما جمًّا.

ولقد أحب القرآن حُبًّا ملك عليه لُبَّه وفؤاده حتى أكمل حفظه وفهمه وأخذ يحول هذا القرآن إلى واقعٍ عملي منظور يراه الناس فيرون الإسلام من خلاله.

ولقد كتب عبد الله بن عمرو الكثير بإذن النبي ﷺ وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن وسوغ ذلك ﷺ[٢]. ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة رضي الله عنهم على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: والظاهر أن النهي كان أولًا لتتوفر همهم على القرآن وحده، وليمتاز القرآن بالكتابة عما سواه من السُنن النبوية، فيؤمَنُ اللبس، فلما زال المحذورُ واللبسُ، وَوَضَح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس أذن في كتابة العلم، والله أعلم.

وقال ابن القيم رحمه الله في «تهذيب السنن» (٥/٢٤٥): وقد صح عن النبي ﷺ النهي عن الكتابة والإذن فيها متأخر فيكون ناسخًا لحديث النهي فإن النبي ﷺ قال في غزاة الفتح «اكتبوا لأبي شاه» يعني خطبته التي سأل أبو شاة كتابتها، وأذن لعبد الله ابن عمرو في الكتابة، وحديثه متأخر عن النهي، لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهي الصحيفة التي كان يسميها «الصادقة» ولو كان النهي عن الكتابة متأخِّرًا لمحاها عبد الله، لأمر النبي ﷺ بمحو ما كتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحها، وأثبتها، دل على أن الإذن في الكتابة متأخر عن النهي عنها، وهذا واضح والحمد لله[٣].

---

(١) ابن عساكر (٢٠٥/٢١٨) نقلا من السير للذهبي (٣/ ٨٠).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧١)، ومسلم (٣٠٠٤)، وانظر الفتح (١/ ١٨٥).
(٣) نقلا عن سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣/ ٨١).

وعن عبد الله بن عمرو قال كنا عند رسول الله نكتب ما يقول[١].

قال الإمام الذهبي: وهو دال على أن الصحابة كتبوا عن النبي ﷺ بعض أقواله.. وهذا عليٌّ رضي الله عنه كتب عن النبي ﷺ في صحيفة صغيرة، قرنها بسيفه[٢].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله! أكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم قلت: في الرضى والغضب؟، قال: «**نعم، فإني لا أقول إلا حقًا**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب[٤].

ولا داعي لأن أطيل في سرد الأدلة أكثر من ذلك؛ لأن الأدلة واضحة جلية وضوح الشمس في رابعة النهار، وإنما أردت أن أتكلم عن تلك القضية في ترجمة هذا الصحابي الجليل؛ لأنه كان من أكثر الصحابة تدوينًا لسنة الحبيب ﷺ.

فنسأل الله أن يرزقنا جميعًا شفاعة الحبيب ﷺ.

عباد الله: ولعبد الله بن عمرو رضي الله عنه كلام نفيس منه ما ورد عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة، أحبُّ إليّ من أن أكون عاشر عشرة أغنياء، فإن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلَّا من قال هكذا وهكذا، يقول: يتصدقُ يمينًا وشمالًا[٥].

وعن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا.

---

(١) أخرجه أبو زرعة في تاريخ دمشق (١٥١٤). ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه البخاري، (١٣/ ٢١٧)، ومسلم (١٣٧٠).
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧، ٢١٥(وابن عساكر (٢٣١، ٢٣٢) وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٨٤) - العلم - باب كتابة العلم.
(٥) رجاله ثقات: وهو في الحلية (١/ ٢٨٨)، وابن عساكر (٢٤١ - ٢٤٢).

وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأن أدمع دمعة من خشية الله - عز وجل - أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار[١].

أما الحديث عن تواضع عبد الله بن عمرو وزهده وخشيته، فعن سلمان بن ربيعة أنه حج في عصابة من قُراء أهل البصرة فقال: والله لا نرجع حتى نلقى رجلًا من أصحاب محمد ﷺ يُحدِّثنا بحديث. فلم نزل نسأل حتى حدثنا أن عبد الله بن عمرو نازل في أسفل مكة. فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم ويرتحلون ثلاثمائة راحلة، منها مئة راحلة ومائتا زاملة.. فقلنا: لمن هذا الثقل فقالوا: لعبد الله بن عمرو. فقلنا: أكُلُّ هذا له؟ وكنا نحدث أنه من أشد الناس تواضعًا، فقالوا لنا: أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها» وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه. فعجبنا من ذلك، فقالوا: لا تعجبوا من هذا فإن عبد الله رجل غني وإنه يرى حقًّا عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس. فقلنا: دلونا عليه. فقالوا: إنه في المسجد الحرام. قال: فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالسا بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص، قد علق نعليه في شماله[٢].

وعن يعلى بن عطاء، عن أبيه، قال: كنت أصنع الكحل لعبد الله بن عمرو، وكان يطفئ السراج بالليل ثم يبكي حتى رسعت عيناه[٣].

وأما فضائل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه لا تُعد ولا تُحصى ولكن حسبنا أن نعلم أنه كان يكتب سُنَّة الحبيب ﷺ فكل من يقرؤها ويعمل بها من بعده، فهي في ميزان حسناته، وكفى بها والله. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: كنت يوما مع رسول الله ﷺ في بيته، فقال: «**هل تدري من معنا في البيت؟**» قلت: من يا رسول الله؟ قال: «**جبريل** عليه السلام» قلت: السلام عليك يا جبريل ورحمة الله. فقال رسول

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٧٧) ورواه البيهقي في الشعب وإسناده حسن.
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٧٧).
(٣) رسعت عيناه: أي تغيرت وفسدت والتصقت أجفانها انظر حلية الأولياء (١/ ٢٩٠).

الله ﷺ: «إنه قد ردَّ عليك السلام»[١].

عباد الله: وها هو موقف يتفاعل معه ابن عمرو رضي الله عنهما وتسيل دموعه حزنًا لما حدث، كيف لا؟ وهو رجل من أمة زكَّاها الله بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عن عبيد بن سعيد: أنه دخل مع عبد الله بن عمرو المسجد الحرام، والكعبة محترقة حين أدبر جيش حصين بن نمير، والكعبة تتناثر حجارتها، فوقف وبكى حتى إني لأنظر إلى دموعه تسيل على وجنتيه، فقال: « أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم، ومحرقوا بيت ربكم لقلتم: ما أحد أكذب من أبي هريرة. فقد فعلتم، فانتظروا نقمة الله فليلبسنكم شيعًا، ويذيق بعضكم بأس بعض[٢].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: ها هو ابن عمرو م يحول تلك الآية إلى واقع عملي فيتعايش معها قلبًا وقالبًا فلا تراه إلا عابدًا لله ذاكرًا له في كل وقت وحين.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين،وليس لهم حط عن رحالهم إلَّا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبنيٌّ على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء

---

(١) إسناده حسن: رواه الطبراني. وانظر المجمع (١٥٩٠٤).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٩٤).

السفر. ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آنات السفر غير واقفة، ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير[1].

فانشغل ابن عمرو رضي الله عنهما بالعبادة حتى إنه لم يجد متسعًا ليستمتع بشيء من لذائذ الدنيا التي أحلها الله لنا.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي، جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة، فجاء أبي إلى كُنَّته - زوجة ابنه - فقال: كيف وجدت بعلك؟ - زوجك - قالت: خير رجل من رجل لم يُفتش لها كنفًا، ولم يقرب لها فراشا، قال: فأقبل عليّ، وعضَّني بلسانه، ثم قال: أنكحتك امرأة ذات حسب، فعضلتها وفعلت، ثم انطلق، فشكاني إلى النبي ﷺ. فطلبني، فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار وتقوم الليل»؟ قلت: نعم قال: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء. فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني».

وقال: «اقرأ القرآن في كل شهر». قلت: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام».

قلت: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: «فاقرأه في كل ثلاث». ثم قال: «صم في كل شهر ثلاثة أيام» قلت: إني أقوى من ذلك. قال: فلم يزل يرفقني حتى قال: «صم يومًا وأفطر يومًا إنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود»[2].

قال حصين في حديثه: ثم قال ﷺ: «فإن لكل عباد شرَّة فترة، فإما إلى سُنَّة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سُنَّة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[3].

---

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٧٠) ط/ دار الخاني.

(٢) أخره أحمد في المسند (٢/ ١٥٨)، ورجاله ثقات، واصله في البخاري (٥٠٥٢) فضائل القرآن.

(٣) رواه ابن أبي عاصم وابن حبان في صحيحه وإسناده صحيح، انظر ظل الجنة (٥١).

قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعدد تلك الأيام. قال: وكان يقرأ من حزبه كذلك يزيد أحيانًا وينقص أحيانًا، غير أنه يوفي العدد إما في سبع وإما في ثلاث. قال: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليّ مما عدل به، لكني فارقته على أمر اكره أن أخالفه إلى غيره[1].

وتمر الأيام على هذا العابد الزاهد الذي وهب حياته كلها لله ولم يترك ساعة من عمره لخصوص نفسه وشهواتها، ويطول عمره حتى يدرك خلافة علي رضي الله عنه ويرفض معاوية رضي الله عنه أن يبايع عليًا إلا أن يأتي بقاتل عثمان رضي الله عنه وحدثت الفتنة بينهما.

وعقيدتنا نحو هذه الفتنة التي حدثت بين الصحابة رضي الله عنهم أننا نعتقد أنهم مجتهدون جميعًا، ومتأولون ونحن نحسن الظن بهم جميعًا ونمسك عما شجر بينهم فهم لم يقصدوا معصية رضي الله عنهم وقامت الحرب بين الطائفتين. ومضت موقعة الجمل وجاءت موقعة صفين وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه في فريق معاوية وكان يعلم أن الصحابة يثقون في ابنه عبد الله فعزم عليه أن يخرج معه، فخرج معه عبد الله وهو لا يريد قتالًا، ولكنه أراد أن يمتثل أمر النبي ﷺ حين قال له في يوم من الأيام: أطع أباك ما دام حيًّا.

ونشب القتال بينهم ودخل «عبد الله» في بداية المعركة ولم يضرب أحدا بسيف ولم يلبث إلا قليلا حتى ترك أرض المعركة وذلك عندما علم أن عمار بن ياسر رضي الله عنه كان في فريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه قد قتل فتذكر عبد الله قول النبي ﷺ حينما قال عن عمار: «ويح ابن سُمية تقتله الفئة الباغية» فانطلق عبد الله يشق الصفوف ويزأر كالليث يذكر الصحابة الذين في جيش معاوية رضي الله عنه بقول النبي ﷺ ليعرفوا أنهم قد اجتهدوا فاخطأوا، والدليل على ذلك أنهم قتلوا عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد شهد النبي لمن قتلوه بأنهم بغاة. ووصلت مقالته إلى معاوية، فدعاه ودعا أباه فدخلا عليه.. وعبد الله قد امتلأ قلبه حزنا على قتل عمار.

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٧٦ - ٢٧٧).

عن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار رضي الله عنه فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «تقتله الفئة الباغية فقال معاوية: يا عمرو! لا تغتي عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إني أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ ، فقال: «أطع أباك ما دام حيا» فإنا معكم، ولست أقاتل[1].

ولما عاد عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ظل يوم صفين وكأنه صفحة سوداء في حياته عكرت عليه صفوه، وكدرت عليه عيشه فكان قلبه يمتلئ حُزنًا وأسفًا كلما ذكر هذا اليوم مع أنه لم يقاتل..وكان يقول: ما لي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين لوددت أني مِتُّ قبلها بعشرين سنة - أو قال بعشر سنين - أما والله على ذلك ما ضربت بسيف، ولا رميت بسهم [2].

عباد الله: إننا نعيش زمانا لا تكاد تجد فيه رجلاً - إلا من رحم الله - وفيًّا بالوعد صادقًا في أقواله وأعماله، وها هو عبد الله بن عمرو م يضرب لنا المثل والقدوة في الوفاء بالوعد حتى عند موته.

فعن هارون بن رئاب، قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال: إنه خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه[3].

وبعد حياة طويلة مملوءة بالطاعة والزهد والعطاء والجهاد في سبيل الله نام ابن عمرو م على فراش الموت يرجو رحمة الله ويخشى عذابه ويتلهف شوقًا لصحبة النبي ﷺ في جنة الرحمن - جل وعلا - التي فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٤)، وابن عساكر (٢٤٨)، وإسناده صحيح.
(٢) رجاله ثقات ، أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٦٦)، وابن عساكر (٢٥٧).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٢٧٨).

قال يحيى بن بكير: توفيَ عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بمصر ودفن بداره الصغيرة سنة خمس وستين.

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: وهو الصحيح، فقد روى الكندي في كتاب «الولاة». (٦٤٥) قصة قتل الأكدر بن حمام الذي قتله مروان بن الحكم حين قدم «مصر» سنة (٦٥)، قال: حدثنا يحيى بن أبي معاوية التجيبي، قال: حدثني خلف بن ربيعة الحضرمي، قال: حدثني أبي ربيعة بن الوليد، عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قالت: كنت واقفا بباب مروان حين أتيَ بالأكدر.. وكان قتل الأكدر للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستين، ويومئذ توفي عبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لتشغيب الجند على مروان، فَدُفِنَ في داره[1].

وهكذا رحل الزاهد العابد الورع التقي.. كاتب سُنَّة الحبيب ﷺ ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وليجبر الله كسره في جنته ودار كرامته ورضوانه.

فرضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، اللهم اهدنا واهد بنا ووفقنا لعمل صالح حتى نلقاك، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك يا جواد كريم، اللهم انصر الإسلام وأهله وأذل الشرك وأهله، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) سير أعلام النبلاء، مع الهامش (٣/ ٩٤).

معاذ بن جبل رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه في الخطبة الأولى:

يقول ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»(١).

ونعمة العلم من أعظم النِّعَم، ولذا فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يطلب المزيد منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

بل إنه من عظمة العلم والعلماء وقدرهم عند الله - جل وعلا - أنه أشهدهم على

---

(١) متفق عليه، صحيح الجامع (٦٦١١).

أعظم شهادة ألا وهي شهادة التوحيد لله.

فبعد أن شهد الله - جل وعلا - بتلك الشهادة العظيمة ثنَّى في الشهادة بالملائكة، ثم بشهادة أولي العلم.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

بل إن من أشد الناس خشية لله هم العلماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر:٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

بل إن النبي ﷺ لم يأذن بالحسد إلا في حالتين(١).

فقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين - وكان منهما - ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٢).

وللعلماء منزلة عظيمة عند الله، فلقد جعلهم الله أولي الأمر الذين يُرْجَعُ إليهم، فقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

قال جابر وابن عباس: المقصود بأولي الأمر هم العلماء والفقهاء.

بل أوجب علينا الرجوع إليهم، وأوجب علينا أن نرجع إليهم في النوازل، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

---

(١) الحسد هنا بمعنى الغبطة.

(٢) متفق عليه عن ابن مسعود، صحيح الجامع (٧٤٨٨).

واعلم يا أخي أن طلب العلم هو من أقرب الطرق لدخول الجنة.

قال ﷺ: «من سلك طريقًا يلمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[١].

وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٢]. وها نحن نعيش - سويًا من خلال تلك السطور مع مقدام العلماء معاذ بن جبل رضي الله عنه الإمام المقدم في علم الحلال والحرام.

إمام الفقهاء وكنز العلماء، شهد العقبة وبدرًا، والمشاهد، وكان من أفضل شباب الأنصار حِلْمًا وحياء وسخاء، وكان جميلاً وسيمًا.

كان أبيض وضيء الوجه برَّاق الثنايا أكحل العينين جميلاً سمحًا من خير شباب قومه.

لله دره من سيد، له أسبقيته، وإيمانه ويقينه، لله دره معلم وفاتح اليمن، على أن أهم مزاياه وأعظم خصائصه، كان فقهه، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام كما شهد له رسول الله ﷺ.

ويقول عنه عمر رضي الله عنه: «لولا معاذ بن جبل لهلك عمر».

كان أصحاب رسول الله إذا تحدثوا فيهم معاذ بن جبل رضي الله عنه نظروا إليه هيبة له، لله دره.. كأنما كان يخرج من فمه نور ولؤلؤ، بلغ منزلة عظيمة في العلم، وفي إجلال المسلمين له، أيام رسول الله ﷺ وبعد مماته.

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٨).

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧) نقلا من كتاب صدقوا ما عاهدوا(للمصنف ص ١٠٧ - ١٠٨).

مات - رحمه الله - يوم مات ولم يجاوز من العمر ثلاثا وثلاثين سنة، أو ثمانية وعشرين سنة، وحَصَّل ما حَصَّل وسبق الأمة في الفقه وعلم الحلال والحرام في تسع سنوات[١].

أما إسلام معاذ رضي الله عنه فقد أسلم على يدي مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان ثمرة مباركة من ثمرات الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة التي هي من مناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه .

وفي ليلة العقبة كان معاذ مع الاثنين والسبعين الذين شهدوا تلك البيعة المباركة، فوضع يده في يد الحبيب ﷺ وبايعه ليسطر بذلك صفحة ناصعة البياض على جبين التاريخ.

وما إن عاد معاذ رضي الله عنه إلى المدينة حتى أيقن أن الخير الذي حصل له لم يكن إلَّا ببركة الدعوة إلى الله تعالى، فقام يحمل لواء الإسلام خفاقًا عاليًا ليأخذ بأيدي الناس من حوله إلى جنة الرحمن - جل وعلا - التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فكان من بركة دعوته أن الله جعله سببًا في إسلام سيد من سادات بني سلمة، فإنه لما قدم معاذ - ومن معه ممن أسلموا - إلى المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجموح، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بني سلمة، وشريفا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له: مناة، كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلها يعظمه ويطهره، فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو [بن الجموح]، في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، كانوا يدلجون[٢] بالليل على صنم عمرو ذلك،

---

(١) ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله د. سيد حسين (١/ ٢٧٠).

(٢) يدلجون: يسيرون من آخر الليل، وقيل: ساروا الليل كله.

فيحملونه، فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عُذَر الناس - القاذورات ومخلفات قضاء الحاجة - منكسا على رأسه؛ فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم ! من عدا إلى إلهنا هذه الليلة؟ ، قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه، فإذا أمسى ونام عمرو عدو عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوما، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير، فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو عدو عليه. فاخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتًا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عِذَر من عِذَر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به. فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من [رجال] قومه، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه[1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلَّا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمين.

أما بعد:

لما قدم الحبيب ﷺ إلى المدينة مهاجرًا فرح - معاذ - لقدومه أشد الفرح ولازمه

(١) هذه القصة ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

ملازمة العين لأختها، وتعلم منه العلم الغزير من نبعه الصافي، بل وتعمق في معرفة الحلال والحرام وسائر شرائع الإسلام حتى أصبح من أعلم الصحابة بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ. وحسبنا من ذلك أن نتعرف على تلك الأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدر معاذ بن جبل، وسالم مولى أبو حذيفة[١].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ...**»[٢].

بل لقد كان النبي ﷺ يقربه إليه ويكرمه أيما إكرام.

. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ،قال: كنت رديف رسول الله ﷺعلى حمار يقال له عفير.

فقال: «**يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ألَّا يعذب من لا يُشرك به شيئًا**». فقلت: يا رسول الله ! ألا أبشر به الناس؟ قال: « **لا تبشرهم فيتكلوا**»[٣].

وهذا دليل على عظيم تواضع النبي ﷺ وعلى قدر - معاذ رضي الله عنه - ومكانته عند رسول الله ﷺ، بل تدبروا معي يا عباد الله إلى تلك المنقبة العظيمة التي لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**» فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: «**اللهم أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٤]..

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٩) ومسلم (٢٤٦٤).

(٢) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤).

(٤) رواه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣)، والحاكم (٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

بل يوضح النبي ﷺ مكانة - معاذ - بين العلماء يوم القيامة.

فعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن معاذ بن جبل أمام العلماء رتوة**» والرتوة هي الدرجة والمنزلة.

ويريد الحبيب ﷺ أن يثني عليه فيقول: «**نِعْمَ الرجل مُعاذ بن جبل**»[١].

وعلم أصحاب النبي ﷺ مكانة - معاذ - فكانوا يحملون له كل الحب والتقدير في قلوبهم. فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن معاذ كان أمة قانتا لله.

قال: فقال رجل من أشجع يقال له: فروة بن نوفل: نسي، إنما ذاك إبراهيم. قال: فقال عبد الله: مَنْ نسي؟ إنما كنا نشبهه بإبراهيم. قال: وسُئِلَ عبد الله عن الأمة: فقال معلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله[٢].

وعن محمد بن سهل بن أبي حَثْمَةَ : عن أبيه قال: كان الذين يُفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عمر، عثمان، وعليّ وثلاثة من الأنصار: أبيَّ بن كعب، ومعاذ، وزيد.

وعن نيار الأسلمي: أن عمر رضي الله عنه كان يستشير هؤلاء، فذكر منهم معاذًا.

وروى موسى بن عُليَّ بن رباح، عن أبيه، قال: خطب عمر الناس بالجابية فقال: من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل[٣].

ومن مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الله ألقى محبته في قلوب الناس. قال ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل - عليه السلام - فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧) وصححه ابن حبان.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافق الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٧١ - ٢٧٢). وصححه ووافقه الذهبي.

السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض...»[١].

ولقد كان معاذ رضي الله عنه من هذا الصنف الكريم. فكل من يراه يحبه من أول وهلة. عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سلمة الخولاني، قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلًا من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين بَرَّاقُ الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم، أقبلوا عليه، فسألوه، فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ بن جبل. فوقعت محبته في قلبي[٢].

وفي رواية عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا، وإذا ناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقالوا: هذا معاذ بن جبل. فلما كان من الغد هجَّرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير فوجدته يصلي قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه وقلت له: والله إني لأحبك لله. قال: فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فقال: الله؟ فقلت: الله؟ قال: فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت رحمتي للمتحابين فِيَّ والمتجالسين فِيَّ والمتباذلين فِيَّ والمتزاورين فِيَّ»[٣].

أما الحديث عن خروج معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن للدعوة ونشر العلم فلقد كان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فهو يعلم طاقات الرجال من حوله، فكان يوظف تلك الطاقات في خدمة الإسلام والمسلمين على أكمل وجه.

وها هو النبي عليه الصلاة والسلام، يرى جموع قريش تدخل في دين الله أفواجا، بعد فتح مكة، ويشعر بحاجة المسلمين الجدد إلى معلم كبير يُعلمهم الإسلام، ويفقههم بشرائعه، فيعهد بخلافته على مكة لعتَّاب بن أسيد، ويستبقي معه معاذ

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، صحيح الجامع (١٧٠٥).
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٦٩) وابن سعد (٣/ ٢/ ١٢٥).
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠)، وقال العدوي: إسناده صحيح.

ابن جبل رضي الله عنه ليُعَلِّمُ الناس القرآن ويفقههم في دين الله.

ولما جاءت رسل ملوك اليمن إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلاما وإسلام من وراءها، وتسأله أن يبعث معها من يُعَلِّمُ الناس دينهم، انتدب لها المهمة نفرًا من الدعاة الهُداة من أصحابه، وأمَّر عليهم معاذ بن جبل رضي الله عنه[1].

وعن معاذ رضي الله عنه قال: لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن، قال لي: كيف تقضي إن عرض قضاء؟ قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن، فبما قضى به رسول الله ﷺ: قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو - أي لا أتجاوز ذلك - فضرب صدري،وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ[2].

اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين اللهم أبرم لهذه الأمة أرم رشد يُعز فيه أهل الطاعة ويُذل فيه أهل المعصية، ويُؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم من وُلِّي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه ومن وُلِّي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه ، اللهم عليك بأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين. اللهم وحد صفوف المسلمين واجمع كلمتهم وقو شوكتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) صور من حياة الصحابة (ص٥١٦).
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦ - ٢٤٢)، وأبو داود (٣٥٩٢).